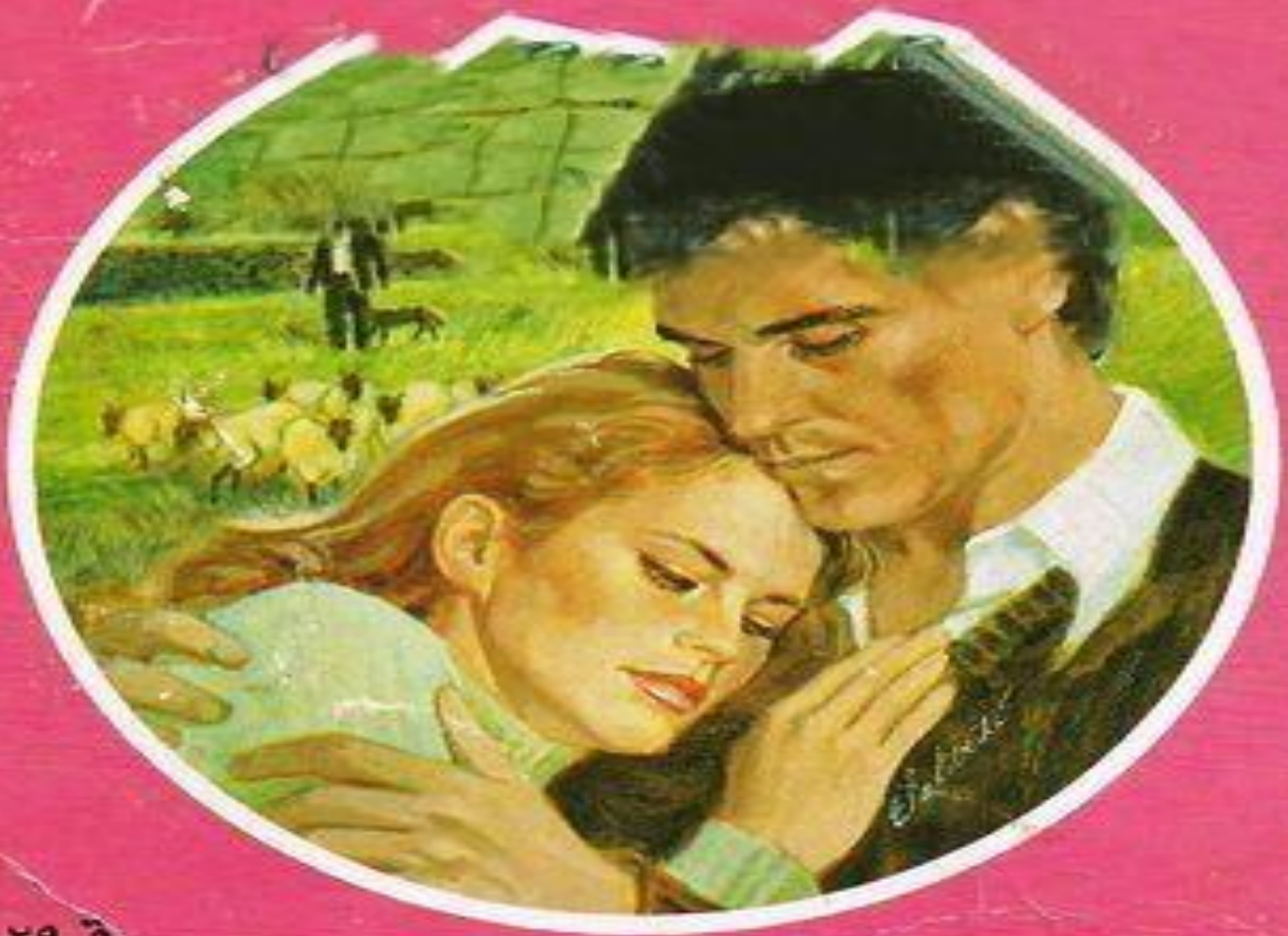


قلوب عبیر



آنٹ ویل

بوہمیسا



بوهيميا

لتحميل مزيد من الروايات

الخاصة والمميزة

زوروا

موقع مكتبة رواية

www.riwaya.ga

رابط قناة روايات عبر

على تيليجرام :

تهتم قناة روايات عبير بمشاركة روابط
روايات عبير و أحلام و مختلف
الروايات الرومانسية الحصرية و
المميزة

<https://t.me/aabiirr>

آن ويل

– قلوب عبير القديمة

الملخص

لعل الحب هو العاطفة الأكثر إثارة
للحيرة و الأكثر غرابة فهو لا يخضع
لأي ! أو !, إنه الشعور البوهيمي
الذي ما انفك يتحكم بقلب العالم
من أقصاه إلى أقصاه, حتى قيل
بسببه تدور الأرض...

جوسلين فتاة عشقت الحياة الهادئة
البسيطة. بعكس ابنة عمها كاميليا
الجميلة التائقة إلى الشهرة وكان زواج

كاميليا من رجل فرنسي, فلاح,
مبعث قلق للعائلة فهي دلوعة و!.
وانتهى بها الأمر أن طلبت من
جوسلين الحضور إلى المنطقة
الكامارغ القاسية المليئة بالخيول و
الثيران والرياح العاصفة لمساعدتها
أثناء حملها... وهناك عرفت
جوسلين قسوة العيش وخشونة
الرجال بخاصة جيرفيه شقيق زوج ابنة

عمها, الذي أذاقها الأمرين بتسلطه
ورهبته. ولكن كلما تأخر بها البقاء
في الكارماغ كلما تعمقت جذورها في
تلك البلاد النائية, حيث الحب ما
زال بوهيميا بكرةً كما كان منذ بداية
الكون.

(كل علامة تعجب؛ تدل على عدم
وضوح الكلمة وعدم معرفتي ماهيتها
بالضبط < > المعذرة لكن القصة

نفسها واضحة والحمد لله وليست

(مثل الملخص)

1- جاءت الرسائل وفيها رسالة لم

تتعود جوسلين تلقيها من ابنة عمها

كاميليا التي تزوجت رجلاً فرنسياً

وهي حامل و تطلب حضور

جوسلين بسرعة... إنها رحلتها الأولى

خارج الحدود.

كانت جوسلين تعد المهلبية الساخنة
عندما سمعت باب علبة البريد يفتح
ثم يغلق. سحبت القدر عن النار و
خرجت إلى البهو لإحضار الرسائل.
من بين عشرات المغلفات العائدة
كلها إلى دعايات و منشورات طبية
و مخبرية, وجدت فاتورة للغاز و
رسالة من فرنسا.

كانت الفتاة تكتب إلى كاميليا رسالة
كل شهر, لكن ابنة عمها لم ترسل
إليها سوى بطاقات بريدية تدون
على قفاها بعض الكلمات السريعة
المقتضبة.

وضعت الفتاة الرسالة في جيب
فستانها وناولت والدها الفاتورة
بينما كان يهبط السلم, ثم قالت:

-صباح الخير, يا أبي. الفطور جاهز

تقريبا. وكيف حال الطفل؟

-إنه صبي و وزنه أربعة كيلوغرامات.

قبل الدكتور بيشوب ابنته على

خدها ورافقها إلى المطبخ. مثله,

كانت جوسلين ممشوقة القامة,

طويلة. وكانت رفيقاتها في المدرسة

ينعتنها " الفاصوليا الخضراء " مما

اضطرها إلى تقويس ظهرها لتبدو

أقصر مما هي. لكنها الآن, في
التاسعة عشرة من عمرها و تتقبل
نفسها ببساطة و اعتزاز.
نادراً ما تتناول عائلة يشوب
وجبات طعامها على مائدة السفرة
في غرفة الطعام الواسعة, بل تفضل
البقاء في المطبخ, المطل على الحديقة
والذي تدخله الشمس طوال النهار.
لكن, في هذا الصباح من نهار

الاثنين, غابت الشمس عن مائدة
الفطور, المغلفة بشرشف أبيض
معرق والملبئة بالآنية الفخارية
البيضاء و الزرقاء الخاصة بمنطقة
كورنويل الشهيرة الواقعة في شرق
انكلترا. بعد فصل شتاء ناعم
ورطب, اشتد البرد فجأة, و بدأت
السماء ترسل ثلجاً في أواخر شهر
آذار / مارس.

جلس الأب أمام المائدة ووضع فوطة

حول عنقه, فسألته الابنة:

- في أي ساعة عدت إلى المنزل, يا

أبي؟

- جاء المولود السعيد في الواحدة

بعد منتصف الليل, وأنا عدت قبل

الثانية بقليل. لكني بدأت أتساءل في

أي ساعة عادت الأنسة ديفيس,

الممرضة الشابة. ولحسن الحظ أن

الآنسة مايس ستسأنف عملها اليوم.

في كل حال, آن لنا أن نوظف

ممرضة ثالثة, على الأقل نصف دوام,

ما دامت المنطقة تستمر في الازدهار

والعمران ويزيد كثافة سكانها يوماً

بعد يوم.

قبل الحرب جاء جد جوسلين,

الطبيب أيضاً, وسكن في هذه القرية

ومارس فيها مهنته وأورثها إلى ابنيه,

واحدهم يدعى جون بيشوب, والد
جوسلين. و ظلت القرية على ما
كانت عليه قبل الحرب, إلى حين
اصبحت الفتاة في سن المراهقة, إنه
حي كبير, هادئ الجو يذكر بالحياة
الريفية القديمة. لكن, حول البلدة,
اختفت الحقول والبساتين الشاسعة
لتحل مكانها المنازل والمباني الجديدة.
وفيها اسكنت البلدية العمال

الزراعيين الذين كانوا يعيشون في
أكواخ خالية من المراحيض والماء
والكهرباء. وقام متعهدو البناء بفرز
أراض كثيرة, عالمين مسبقاً أن المدينة
المجاورة سيصل بها الوقت إلى عدم
استيعاب جميع السكان, الذين
سيبدؤون بالتزوج إلى الجوار وخاصة
إلى الضواحي القروية, حيث ستبنى

من أجلهم المنازل ويتم استقرارهم
فيها بشكل نهائي.

و هذا ما حدث بالفعل منذ أكثر
من سنة. امتلأت المنازل الجديدة
بأصحابها ومستأجريها, و غيرها قيد
البناء. واصبحت مدرسة القرية
الابتدائية مزدحمة بالتلاميذ, وازداد
نشاط الدكتور بيشوب, الذي,
بواسطة ممرضتيه, ساعد على انجاب

اطفال بفوق عددهم بكثير مواليد

السنوات الفائتة.

وبسبب هذا التطور السكاني, وضع

اعلانا في الصحف المحلية يطلب فيه

طيبا مساعداً. وبعد غربة

المتقدمين, تم اختيار طوم كالي, الذي

يلم بشؤون الطب القروي, كونه ابن

مزارع قديم.

وبينما كان الدكتور يرد على مكالمة

هاتفية وهو يحتسي الشاي, وصل

طوم وقال:

-صباح الخير, يا جوسلين. هل بقي

شاي؟

دخل إلى المطبخ وهو يفرك يديه

بعضهما لشدة البرد, والابتسامة

تضيء وجهه. إنه شاب قصير

القامة, سمين, بكتفين عريضتين

وعينين زرقاوين, وشعر غزير أشقر.

احمر وجه جوسلين وقالت:

—سأعد المزيد منه.

استلطفت جوسلين خذا الطبيب

الشاب منذ ستة أشهر مضت لدى

وصوله إلى القرية. ومنذ بداية السنة,

يخرجان معاً لحضور الأفلام

والمسرحيات والحفلات الراقصة.

صحيح أنها تشعر تجاهه بالحبّة و

تشاركه بعض افكاره وانتماءاته, لكن
لم يخطر أبداً في بالها أن طوم يشعر
اتجاهها بشيء يفوق الصداقة
العادية.

ومساء أمس, وبينما كانا عائدين من
حفلة سنيمائية, راح يعانقها بانفعال,
لكن من دون شقف. وقبل ان تنام
فكرت مراراً بما حدث, هل تأخذ
قراراً صعباً, غير منتظر, أو تترك

الأمر تسير على طبيعتها و
عفويتها. ربما من الأفضل أن تفهمه
بلياقة بأنها على غير استعداد
للانخراط في مغامرة عاطفية جديدة.
وحيال هذا التردد الكبير، لم تنم
جيداً و شعرت بتوتر واضطراب
وحيرة، لم تعرف مثلها من قبل.
ألقى الطبيب الشاب نظرة على ما
تبقى على مائدة الفطور وقال:

-ام م م م ... مهلبية وبيض مقلي!

أراهن بأن والدك لن يموت جوعا!

أنا, لم أتناول سوى زبدة و مربى,

هذا الصباح.

ضحكت جوسلين وشعرت بارتياح

لتصرفه الطبيعي تجاهها وقالت:

-هل تريدني أن اقتنع بأن السيدة

براين لا تغذيك كفاية. سمعتها شهيرة

بأنها طاهية ماهرة, ولهذا السبب

طلب منها والدي أن تؤجرك غرفة
عندها.

-صحيح, إنها تعتني بي جيداً. لكن
مهما يكن, لن أمانع في تناول قطعة
الخبز المحمصة هذه, إذا قدمتها لي.
أجابت وهي تملأ ابريق الشاي:
-تفضل, أرجوك.

ثم أضافة وهي تراه يغمس الخبزة في
وعاء المهلبية:

- إذا لم تنتبه لنفسك من كثرة

الطعام, ستصبح سمينا أكثر.

- كلا, أنا أعمل كثيراً هذه الأيام.

أما أنت, فلا أراك تحرمين نفسك من

شيء, ولا أرى أي إشارة سمنة فيك.

هذا الثوب الأزرق جميل عليك.

وكيف جرى انك لا تشبكين في

شعرك ملاقط, كمعظم النساء. هل

نزعتهما قبل وصولي؟

لمست جوسلين شعرها الكستنائي
الفاتح: إنه مالمس, يلتوي في أطرافه
بشكل طبيعي. غالباً تتركه ينسدل
على كتفيها, ونادراً ما ترفعه بشكل
كعكة فوق رأسها. يكفي أن تغسل
وجهها بالماء البارد, وتفرك أسنانها,
ثم تسرح شعرها لتكون مستعدة كل
صباح.

قالت بصوت خفيف:

-آه. أكره أن أنام والملاقط في

شعري.

دخل والدها المطبخ و أعلن فوراً:

- كانت السيدة أليس تحدثني على

الهاتف. يبدو أنها امضت الليل كله

ساهرة على ابنها برنارد الذي كان

متفوقاً في سريره من شدة الألم.

أظنه يعاني من التهاب في الزائدة.

طوم, أرجوك ان تمر على المزرعة, في

الحال.

—حسنا.

جرع الشاب فنجان الشاي ثم خرج.

قطب والد جوسلين حاجبيه وقال:

—يا له من طقس شيء. لن أفاجأ

إذا تكاثف الثلج اليوم.

ذكرته جوسلين حين قالت:

- لا أهمية لذلك. فبعد اسبوعين

ستكون في بلاد الشمس.

نظر إليها بعينين مليئتين بالحب و قال

بحرارة:

- أنت شديدة اللطف, يا جوسلين.

لا تقلقي, فأنا سعيد بذلك.

- آه, يا أبي, أما زلت تعتقد بأنني

أتصنع الحب لأليزابيث؟ كلا, أنا

أجدها امرأة رائعة, و روبرت كذلك.

يا إلهي, الساعة اشرفت على
التاسعة. ستصل انيتا بعد قليل ولم
أفرغ مائدة الفطور بعد.
انيتا لاين امرأة في الستين من
عمرها, نشيطة و ظريفة. منذ صغرها
تتذكرها جوسلين في هذا البيت. فقد
الطبيب زوجته عندما كانت ابنته في
الخامسة من عمرها, فاعتنت بها
السيدة لاين وعالجتها خلال امراض

الطفولة, كما قامت بإدارة المنزل,
إلى أن أصبحت جوسلين في عمر
يسمح لها بأخذ هذه المسؤوليات
عنها. بعد شهادة اليريفيه, توقفت
الفتاة عن الدراسة إذ اقنعت والدها
بضرورة البقاء في المنزل بدل العمل
كموظفة في أحد مكاتب المدينة.
تأتي انيتا مرتين في الاسبوع لمساعدتها

كي يتسنى لها الاعتناء بالحديقة و
بأمورها الشخصية الأخرى.

ولما وصلت انيتا على متن دراجتها
القديمة, كانت جوسلين قد انتهت

لتوها من غسل الصحون و

الفناجين. فسألت انيتا لاهثة:

-هل أنجبت أليس لامب أخيرا؟

ساعدتها جوسلين في خلع معطفها

وقالت:

- نعم. انجبت صبيًا. آه, يا انيتا,
يداك مجلدتان. ادخلي إلى الدفء,

سأعد لك فنجان قهوة.

- ساعديني على نزع حذائي, يا
حبيبتى, من فضلك. صرت سمينة إلى
درجة أصبح صعبا عليّ انتزاعها

بنفسي.

جلستا في المطبخ ربع ساعة تثرثران
و تحتسيان القهوة, قبل أن تبدأ, كل

من جانبها في التنظيف المنزلي

الأسبوعي.

وبينما كانت جوسلين تصعد إلى
الطابق الأول بقية توضيب الأسرة،
تذكرت رسالة كاميليا. سحبتها من
جيبها و مزقت الظرف وجلست
أمام طاولة الزينة في غرفة نومها
وشرعت تقرأ رسالة ابنة عمها

المكتوبة بخط سيء بالكاد استطاعت

قراءته. تقول الرسالة:

"عزيزتي جوسلين

ألف شكر على رسالتك الطويلة

الرائعة. و لا يمكنك أن تعرفي بأي

شوق انتظر وصول البريد, و أنا

مسمرة في هذا المكان المعزول,

حيث لا انسان انكليزي على بعد

أميال من هنا. الخبر الذي بشرتني به

دهشني كلياً. لم أكن أتخيل أبداً أن
عمي جون سيتزوج من جديد. و
حسب ما قلته لي, ان خطيبته تناسبه
تماماً. لكن ربما تتقبلين بصعوبة أن
يأخذ أحد غيرك إدارة و مسؤولية
هذا المنزل.

لدي فكرة رائعة! عندما يعود
العروسان من شهر العسل, لماذا لا
تأتين لزيارتي و قضاء اسبوع أو

اسبوعين معي. أنت كنت تقولين لي
دائماً بأنك ترغبين بالسفر, وهذه
فرصة العمر بالنسبة إليك.
جوسلين, أرجوك, تعالي. و إلا
سأجن. جان-مارك لطيف جداً,
لكنه يتغيب طول النهار و الآخرون
ما زالوا غير مسرورين لأنه تزوجني.
لا يظهرون له ذلك, لكنهم ينتقمون
مني من وراء ظهره. أخوه, نادراً ما

يحدثني, لكنه يرمقني بنظرات
غامضة, غاضبة, و عمته, إذا
استطاعت فلن تتأخر لحظة بوضع
السم في طعامي للتخلص مني. أمس
كنت نائمة, ولما افقت, رأيتها
منحنية فوق رأسي متدمرة. انها
تخيفني. شيء شيطاني ينبع منها.
لو باستطاعتي فقط الخروج من حين
إلى آخر, لأموه عن نفسي, بالرغم

من عدم وجود أي مكان يستحق
الزيارة في هذه العزلة, لكن الطبيب
نصحني بأن أظل ممددة حتى ولادة
الطفل. أرجوك, حبيبي جوسلين,
أتوسل إليك, تعالي! أنا بحاجة ماسة
ان يكون أحد من افراد عائلتي قربي.
أحيانا أشعر برغبة في الموت, لشدة
رعب هذا المكان. وربما أموت قبل
ولادة الطفل. هذه الفكرة أصبحت

هاجسي اليومي و تجلب لي
الكوابيس المرعبة. حتى جان-مارك
لا يفهم. و بالطبع اللوم كله على
أعصابي. جوسلين, يجب ان تأتي, لا
أستطيع الصمود وحدي. كاميليا".
شعرت جوسلين بقلق أمام لهجة هذه
الرسالة, وقررت أن تريها لوالدها في
الحال قبل أن يبدأ بزيارة مرضاه.
لكنها فضلت أن تنتظر موعد الغداء

كي تتمكن من مناقشة الأمر بهدوء
و متعة.

وصلت إليزابيث راندل حوالي
الحادية عشرة و وجدت جوسلين
راكعة وسط تلة من الشراشف و
المناشف, فقالت:

-صباح الخير, يا جوسلين. يبدو
أنك شديدة الانهماك بالعمل.
نهضت الفتاة و أجابت:

– أهلا وسهلا بك. احاول ترتيب
المنزل قبل وصولك. هيا بنا نأخذ
القهوة, سأنتهي العمل بعد قليل. هل
ستجلبين معك الكثير من البياض, يا

إليزابيث؟

– أقل شيء ممكن. روبرت ينمو
بسرعة و الملابس الصغيرة أرسلها
إلى المعوزين و لا أدعها تتكدس
عندي.

خطيبة الطبيب امرأة نحيلة و سمراء,
في الأربعين من عمرها, ارملة و أم
لصبي في الثالثة عشرة من عمره.
تسكن القرية منذ سنة, و نعرف
جوسلين بأن والدها وقع في حبها
منذ وقع عليها نظره.

وتتذكر الفتاة والدتها بغموض ولا
تفهم لماذا توقع معظم اصدقائها أن
تغضب على أبيها لأنه سيتزوج مرة

ثانية. وهو رجل جذاب ولطيف
للغاية, في الثامنة و الأربعين من
العمر. وكيف باستطاعتها أن تشعر
بالغيرة تجاه إليزابيث, تلك المرأة
الناعمة التي تتمتع بحس مرهف
وروح النكتة و الفكاهة. بالعكس
كانت فرحة جداً لهذا الاتحاد.
جلستا في الصالون حول القهوة,
فقالَت إليزابيث:

-وصلتني بطاقة من محلات سميث,
يعلن فيها المدير أن ثوب العرس
أصبح جاهزاً. وما زلت بحاجة إلى
مساعدتك لاختيار القبعة المناسبة.
-يسرني أن أرافقك إلى المدينة. أنا
أيضا بحاجة لبعض المشتريات.
بعد حديث عادي ومقتضب, قالت
جوسلين:

-وصلتني صباح اليوم رسالة من ابنة
عمي كاميليا, تلك التي تزوجت من
شاب فرنسي التقت به في باريس
حيث كانت تعمل كعارضة ازياء.
لقد سبق و حدثك عنها, هل
تتذكرين... والدها أخ والدي البكر.
إنه طبيب أيضا و يعيش في بلاد
الشرق و ما التقيت به مرة. إنه يدير

مستشفى ريفياً في اقاصي غينيا

الجديدة.

– نعم، أخبرتني ذلك عندما تزوجت

ابنة عمك بغتة. والداها منفصلان،

أليس كذلك؟

– نعم. يقول والدي أنه ما كان

مفروضاً أن يتزوجا من الأساس،

لأنهما لا يناسبان بعضهما البعض

على الإطلاق. عمي ديفيد يجب

عمله كثيراً و زوجته جانبيت رائعة
الجمال و تحب الحياة و المجتمع.
استطاعت البقاء معه أربع سنوات,
لكنها لم تحمل طويلا, فهربت مع
رجل آخر. لا يمكن لومها لو أنها ما
تخلت عن ابنتها, كاميليا.
- و أخبرتني أيضا أن كاميليا درست
في استراليا, أليس كذلك؟

-نعم. كانت في مدرسة داخلية في
بريسيان و تأتي إلى غينيا الجديدة في
العطل. و لما اصبحت في السابعة
عشرة من عمرها, اقنعت والدها كي
يسمح لها أن تأتي إلى انكلترا للتعرف
على عائلتها. عاشت سنتين في لندن
عند جدتي و أصبحت عارضة أزياء.
نجحت في هذه المهنة و اشترت شقة
فخمة و سيارة جديدة.

- ثم تخلت عن كل شيء لتتزوج من

هذا الشاب الفرنسي.

- نعم. تعرفت إليه لأسابيع قليلة

قبل أن تتزوجه. لو أعلمتنا بالأمر

مسبقاً، لحاول والدي زيارتها و

اقناعها بالتخلي عنه أو التحلي

بالصبر. لكن، للأسف، عرفنا بأمر

زواجها عندما أرسلت لنا بطاقة

بريدية من مدينة كان الفرنسية،

حيث كانت تقضي شهر العسل.
يتهاً لي الآن, أن التاريخ يتكرر.
سأقرأ عليك رسالتها و بإمكانك
الحكم بنفسك.

قرأت عليها جوسلين الرسالة بصوت
عال, دون أن تقرأ الفقرة العائدة إلى
زواج عمها. بعد قليل, قالت
إليزابيث:

-إنها تصرخ من القلب, أليس
كذلك؟ أين يسكن العروسان, في
فرنسا؟

-في البداية سكنا قرب مرسيليا.
لكن عندما حملت كاميليا, استقرا في
بلدة زوجها, وهي مزرعة كبيرة تخص
شقيقه. هل تعتقدين أنها حقاً يائسة
و منهارة, بسبب وضعها الصحي,
أم أنه وضع خطر حقاً؟

-انتظار مولود جديد, وضع دقيق
نفسياً, بخاصة في الأشهر الثلاثة
الأخيرة. ويبدو أكثر صعوبة إذا
كانت المرأة الحامل تعيش في الغربة,
بعيدة عن كل ما اعتادت إليه.
بنظري, عارضة أزياء في عائلة
مزارعين قرويين, كمزيج الماء و
الزيت من الصعب تحقيقه... لماذا لا

تذهبين بنفسك للتحقق من صحة ما

يجري هناك؟

اندهشت جوسلين و قالت

باستغراب:

-أنا, أذهب إلى فرنسا.

ابتسمت إليزابيث و قالت:

-ولم لا. أنا معجبة بك كثيراً, خاصة

لطريقتك في إدارة هذا المنزل, و

لاهتمامك البالغ بوالدك. ستصبحين

في المستقبل زوجة مثالية, لكنك ما
تزالين في التاسعة عشرة من العمر, يا
جوسلين. بالنسبة إلى بنات جيلك,
أنت تعيشين حياة ثابتة, و يجب
عليك رؤية العالم قليلاً, قبل أن يأتي
النصيب ليخطف حريتك و شبابك
المراهق.

بعد ساعتين, وكان الطبيب يشوب,
يقول الكلام نفسه:

-ستكون مغامرة بالنسبة لك. لا
شك بأن كاميليا تؤزم الوضع و لكن
لا بد أنها تجد صعوبة في التكيف
بسهولة و بالسرعة المطلوبة. هذا ما
كنت أخشاه: فخليط الجنسيات
يجعل الزواج معقداً دائماً.
-لا أعتقد أن المشكلة تقع بين
الزوجين, بل مع عائلة الزوج. العمّة

العجوز تبدو انسانة صعبة ولا

تحتفل.

– انه لخطأ كبير أن يعيش الزوجان

تحت سقف واحد مع العائلة. . .

اتساءل لماذا يجب على كاميليا أن

تبقى طريجة الفراش, انها لا تشكو

من فقر دم, على ما أظن. مهما

يكن الأمر, إذا وافقت على قضاء

اسبوعين معها, ستزين الأمور على

ضوء, و ربما باستطاعتك تسويتها,

قدر المستطاع.

-لكن مصاريف الرحلة ستكلف

غالياً, أليس كذلك؟

-لا أعتقد. إذا كنت ذاهبة مع

إليزابيث إلى السوق, استعلمي

بوضوح عن ثمن البطاقة في الطائرة,

ذهاباً و إياباً.

في المساء اعلنت الفتاة لوالدها بأن

بطاقة السفر ستكلفها حوالي

الأربعين جنيهاً استرالياً, ثم أضافت

تقول:

-لكني لا أتوقع من عائلة العريس

أن تعيني مجاناً. ومن المفروض أن

اشترك على الأقل في مصروف

الطعام. و إذا بقيت هناك ثلاثة

أسابيع مثلاً, سأحتاج إلى مبلغ

مماثل, أي في المجموع, حوالي ثمانين
جنيهاً استرلينياً.

ناولها الطبيب شيكاً وقال مبتسماً:

- كنت سأشتري لك مجوهره, هدية

الزواج, لكنني اعتقد بأن رحلتك إلى

فرنسا ستكون فكرة أفضل.

- لكن, أبي! ليس هذا عرسي أنا.

0 ابن العروس سينال دراجة نارية

كهدية عرسنا, ولا أرى لماذا تحرم

ابنة العريس من هدية لمثل هذه
المناسبة.

-لكنني وفرت 15 جنيها من

مصاريف المنزل لهذا الشهر.

-صحيح! في هذه الحال, سوف

أخفض الميزانية من الآن فصاعداً!

حسناً, احتفظي بها و اشترى بعض

الملابس الأنيقة, قبل سفرك.

- كزرعة آل سانتوت لا تقع في
الكوت دازور, إنما في غرب
مارسيليا, على ما أظن. ولمثل هذا
المكان لست بحاجة إلى ملابس
أنيقة.

في سريرها, تلك الليلة, توصلت
جوسلين مع نفسها إلى نتيجة
منطقية. هذه الرحلة, لن تخدم
معنويات و نفسية كاميليا فحسب,

بل ستسمح لإليزابيث أن تتمرّن
على إدارة المنزل و التصرف به كما
تشاء, كما سيساعد الفتاة على أن
تنظر إلى مستقبلها بطريقة واضحة.
خلال شهر العسل في جزر فيشي,
اهتمت جوسلين بروبرت, ابن زوجة
أبيها: توصله إلى المدرسة كل صباح,
لم تذهب إلى السوق في المدينة. و
اشترت فستاناً واحداً و سروالين و

قميصين متناسقين وخذاء مريحاً،
استعداداً للرحلة المقررة إلى فرنسا.
وكان طوم الطبيب المساعد يناوب
مكان والدها كل مساء ولم يستطيعا
الخروج معاً مرة واحدة. لكنه جاء إلى
المنزل، انما وجود روبرت منعهما من
أي جلسة وحدهما.

ويوم موعد عودة العروسين، امضى
روبرت الصباح بكاملة في تنظيف و

تلميع سيارة الطيب يشوب , بينما
انهمكت جوسلين في المطبخ تعد
الطعام و تضعه في الفرن قبل ذهابها
إلى محطة القطارات.

في الرابعة و النصف بعد الظهر
كانت جوسلين و روبرت في المحطة
ينتظران وصول القطار. أخيراً هتف
الصبي عندما توقف القطار ونزل

ركابه:

-ها هما!

أضافت جوسلين وهي تلوح بيدها:

-آه, انظر كم لوحات الشمس

بشركهما! لا شك أنهما امضيا وقتاً

ممتعاً.

ثم قالت لنفسها: " يبدو أبي عشر

سنوات أصغر من عمره".

اقترب العروسان. فقبلت إليزابيث

ابنها أولاً, ثم جوسلين, وقالت:

-عزيزاي الحبيبان, كم أنا فرحة
لرؤيتكما! كنا في الجنة, لكننا اشتقنا
إليكما كثيراً. في السنة المقبلة
سنذهب معاً. هل تم كل شيء على
ما يرام؟

ابتسمت جوسلين وقالت:

-نعم. اكتشفت معنى الفرح في أن
يكون لي أخ. لكنني لا أعرف إذا

كان روبرت قد فرح مثلي, بأن
تكون له أخت كبرى.

قال الصبي:

—جوسلين فتاة لذيذة و ممتازة,
لكنها ليست مثلك, يا أمي, فهي لا
ترغمني على غسل يدي و وجهي
باستمرار.

أجابت إليزابيث ضاحكة:

- هذا يعني انك لم تنظف اذنيك ابداً

منذ رحيلنا. آه, كم أنا مسرورة

للعودة إلى المنزل, وأنت يا جون هل

تشعر بالشيء نفسه؟

هز الطبيب برأسه موافقاً. ولم وصل

الجميع أمام ساحة المحطة, لاحظ

الطبيب لمعان سيارته وقال مندهشاً:

- من لمع السيارة. لم يسبق أن رأيتها

براقة هكذا.

أجاب روبرت بفخر:

–أنا, يا سيدي, قالت لي جوسلين

انك لا تمنع إذا اعتنيت بها.

–هذا لطف كبير منك, يا روبرت.

انه عمل جيد بالفعل... افضل

بكثير مما يفعلونه في محطات الوقود

أو الكراجات الخاصة. إذا رغبت في

تنظيفها من وقت إلى آخر,

سأعلمك قيادتها على مدرج الطيران

القديم.

بفرح كبير هتفت جوسلين لنفسها: "

آه, برافو, يا أبي... روبرت يرغب

ذلك كثيراً..."

كانت الفتاة تخشى ألا يستطيع

روبرت تحمل سلطة والدها, خاصة

لأنه يجتاز في هذه المرحلة سناً صعبة.

فما زال يعلق صورة والده في غرفته

ولا شك أنه ما زال يتذكره لأن ايان

راندل مات عندما كان الصبي في

الثامنة من عمره.

في حوالي منتصف الليل, صعدت

جوسلين إلى غرفتها بعدما اعدت

حقيبتها لرحيلها باكراً في اليوم

التالي. لكنها لم تنم بسهولة. الخوف

و الاثارة و المجهول, كل هذا جعلها

متوترة الاعصاب. و لما افاقت في

الصباح على صوت المنبه شعرت
بتقلص حاد في معدتها, فلامت
نفسها قائلة: " كم أنا حمقاء! لم أعد
فتاة صغيرة, ولست ذاهبة إلى آخر
العالم ".

عندما انتهت من الاغتسال و ارتداء
ملابسها, نزلت إلى المطبخ و اعدت
الشاي و حملته على صينية إلى غرفة
والدها. أحست بشعور غريب لرؤية

إليزابيث قربه بشعرها المشعث.

فتحت الستائر و قالت:

- آسفة لإيقاظكما بكاراً, لكن طوم

سيصل قريباً جداً ليوصلني إلى

المحطة, و لا أحب الذهاب من دون

أن أودعكما.

قالت إليزابيث باستغراب و فرح:

- آه, الشاي! يا لهذا الترف! شكراً,

يا جوسلين. أظن بأنك متوترة قليلاً.

لا تنسي أن تتصلي بنا هاتفياً, حين

وصولك.

قالت الفتاة معترفة:

-لم أعد أشعر برغبة في الذهاب.

آمل ألا ينتابني الغثيان خلال

الرحلة.

طمأنتها زوجة والدها قائلة:

-طبعا لا. هذا نادر حصوله في
الطائرة. آه, ترتدين بزة جميلة, هل

هي جديدة؟

-لا لكنني لا أرتديها إلا نادراً. لا
يسعني التصديق بأن غداً, في مثل
هذا الوقت, سأفوق في فرنسا. كما
اتساءل أي نوع من الاستقبال
سيخصني به آل سانتون.

قال الطبيب ناصحاً:

- في كل حال, لا تقفي دائما إلى
جانب كاميليا, ولا تقفزي إلى
الاستنتاجات بسرعة. ربما تكون ابنة
عمك فتاة طائشة. لكنها تكبرك
بثلاث سنوات وباستطاعتها أن
تدافع عن نفسها وحدها. كوني
حذرة, يا ابنتي!

وبينما كانت ساعة الحائط في
الصالون تدق دقاتها السبع, سمع

زمر سياره طوم. خرج الطيب مع
ابنته, وضع حقيبتها في الصندوق, ثم
قبلها لآخر مرة قائلاً:

- إلى اللقاء, يا حبيتي. استمتعي
بوقتك كثيراً.

- إلى اللقاء, يا أبي, إلى اللقاء. . .
إلى اللقاء.

في المحطة, اصر طوم أن ينتظر القطار
معها. و خلال الطريق إلى المحطة لم

يقول شيئاً، لكن جوسلين كانت تشعر
بأنه لا بد أن يظهر عن أحاسيسه في
اللحظة الأخيرة. لما دخل القطار إلى
محطته، صعد طوم مع الفتاة و اختار
لها مقعداً قرب النافذة، فقالت له:
- لا ضرورة لانتظار إقلاع القطار،
شكراً لك على كل شيء، يا طوم.
ضمها إليه بشدة وقال:
- سأشتاق إليك كثيراً، يا جوسلين.

- لن أغيب سوى ثلاثة أسابيع.

- لا تنسي أن تكتبي لنا بعد وصولك

إلى فرنسا.

- طبعاً

ثم أضافت بابتسامة ساخرة:

- أنا لم أعد تلميذة مدرسة.

قال مازحاً:

- مهما يكن, فلا تتحدثي إلى

أشخاص تجهلينهم.

- هذا لا أستطيع فعله بطبيعة

الأحوال. ولغتي الفرنسية ليست

جيدة, لكنني آمل في تحسينها.

-إياك أن تقعي في غرام شاب

فرنسي!

-آه, يا طوم, انزل من القطار. انهم

يغلقون الأبواب. إلى اللقاء. سأرسل

إليك بطاقات بريدية.

أطلقت الفتاة تنهيدة ارتياح عندما
نزل طوم. لكنه سرعان ما عاد
وصعد القطار و أخذها بين ذراعيه و
عانقها.

من محطة فيكتوريا في لندن, استقلت
جوسلين سيارة أجرة نقلتها إلى مطار
هيثرو الدولي. وهناك, في جناح
شركة الخطوط الجوية الفرنسية
سجلت بطاقتها و صعدت مع

الركاب في طائرة الكارافيل التي
أقلعت في الحادية عشرة وهبطت في
مطار أورلي ظهراً. بعد نحو ساعة
استراحة, انطلقت الطائرة من جديد
لتهبط في الثانية و النصف في مطار
سنريتيان ومن هناك استقلت باص
شركة الطيران فأوصلها وبقيّة الركاب
إلى قلب مارسيليا.

توجهت جوسلين في الحال إلى محطة
القطارات لتستعلم عن مواعيد
الاقلاع إلى مدينة آلرز, فقبل لها أن
مواعده في الخامسة. كان لديها
ساعتان لبعض التجوال السياحي, و
ضعت الفتاة حقيبتها في أمانة المحطة,
وانطلقت في شوارع مارسيليا, إلى
ساحة الكاتوبيار, المكتظة بالمقاهي و
المحلات. فامتلاً قلبها فرحاً.

في انكلترا, شوارع القرية في مثل هذا
الوقت لا شك أنها فارغة. الرجال
ينعسون قرب موقد النار أو يتنزهون
في الحديقة. الأولاد يعودون من
المدرسة, ومعظم النساء يسترحن بعد
الانتهاء من غسل الصحون أو
يحضرون الشاي.

و جوسلين, الآن, على بعد ألف
كيلومتر من انكلترا. هذه المدينة

تعج بالحياة و الحركة المستمرة. خدم
المقاهي, بصوانيهم المليئة قهوة و
مقבלات ينتقلون من طاولة إلى
طاولة. البحارة بالقبعات الحمراء
يصفرون و يتحرشون بالفتيات
الجميلات اللواتي يقدن الدراجات...
رسام متشرد, ملتح, ذو شعر طويل,
يحاول بيع لوحاته التجريدية, ذات

الألوان الفاقعة, إلى المارة و

الاجانب.

مشت جوسلين حتى المرفأ القديم, ثم

سلكت الرصيف المواجه نحو

الكانويبار. استجمعت شجاعتها و

دخلت إلى أحد المقاهي و اختارت

طاولة على الشرفة, بانتظار قدوم

الخادم. شعرت الفتاة بانزعاج, لكن

لا أحد ينظر إليها. فهم الخادم ما

طلبتة. بسرعة أحضر الخادم فنجان
قهوة مع الكريما و قطعة حلوى
باللوز.. و كتذكار, وضعت الفتاة
الزرقة الملفوفة على قطعة السكر, في
حقيبتها, بسبب وجود عنوان واسم
المقهى عليها.

بقيت هناك حتى موعد ذهابها إلى
محطة القطار. جلست تنظر إلى حركة
السير المزدحمة و الناس, تصغي إلى

أحاديثهم عليها تفهم ما يقولون. . .
إنها حرة, مستقلة, تكتشف العالم,
هي التي لم تعش حتى الآن سوى
حياة رتيبة اعتيادية.

في السادسة وصلت إلى مدينة آلرز,
ساعدتها الحمال على رفع حقيبتها و
سألها:

—هل تريدان سيارة أجرة, يا آنسة.
وبلغة فرنسية مترددة, أجابت:

- كلا, شكراً. هناك من ينتظرنى.
بقيت على رصيف المحطة, تنظر إلى
المارة, متوقعة قدوم جان-مارك في
أي لحظة. تعرفه من صورة ارسلتها
كاميليا منذ فترة قصيرة. لكن, لم
يأت أحد. ربع ساعة مضت وهي
واقفة قرب حقيبتها, قلقة و متوترة
و خائفة جداً. أخيراً سمعت صوتاً
يقول:

- آنسة بيشوب .

انتفضت في مكانها والتفت لترى
رجلاً, ممشوق القامة, يرتدي سترة
جلدية قديمة و قبعة رمادية واسعة,
لم ينتزعها عندما قدم نفسه قائلاً:
- أنا جيرفيه سانتون. آسف لتأخري.

من فضلك أن تتبعيني. . .

انحنى مرحباً و حمل الحقيبة و سبق
الفتاة, خارجاً من المحطة.

ريح عنيفة عصفت في الخارج،
وهنأت الفتاة نفسها لأنها ارتدت
معطفاً سميكاً راقياً. وضع الرجل
الحقيبة في صندوق سيارة الجيب، ثم
ساعد الفتاة على الصعود و الجلوس
في المقعد الأمامي، و وضع فوق
ركبتها بطانية صوفية، فأجابته

بمخجل:

—شكراً، يا سيد.

نظر إليها الرجل مفصلاً, وهو يدور
حول السيارة ليجلس أمام المقود.
خف الازدحام و الشمس تشرف
على المغيب, وبرد الهواء.

خارج المدينة, الريح تعصف بقوة
يؤرجح سيارة الجيب بعنف. من حين
إلى آخر, تهب الرياح دافعة بالسيارة
نحو الحفر. فالطريق غير معبدة, و
مليئة بالحجارة المتطايرة. تهباً للفتاة

أن عظامها تفككت. فجأة عم
الظلام ولم يعد باستطاعتها تأمل
القرى الريفية المجاورة. قالت بصوت
مرتفع كي يسمعها الرجل، المنصب
بكل اهتمامه على الطريق:
- كم يبقى من مسافة حتى نصل إلى
مزرعتك؟
- حوالي 25 كيلومتراً.

ارتعبت الفتاة و خارت قدماها. لا
شك أنهما يجتازان منطقة مليئة
بالمطبات, تمسكت الفتاة بمقعدها,
متقلصة اليدين وقالت لنفسها: " يا
كاميليا المسكينة! أفهم الآن لماذا
تري هذا المكان منعزلاً!".
بدت الطريق كأنها بلا نهاية. السيارة
تجتاز من حين إلى آخر جسوراً
خشبية تدفع الفتاة إلى الأمام

باستمرار. و الرجل لا يعتذر عن
صعوبة الرحلة, ربما لأنه اعتاد عليها.
أخيراً توقفت السيارة أمام منزل
مضاء, فحمل الرجل حقيبة الفتاة
بـيد و تأبط ذراعها باليد الثانية
وساعدها على اجتياز الساحة
المعبدة, حتى وصلا إلى مدخل
المنزل.

لم يسمع أحد صوت محرك السيارة
لشدة الريح القوية. دق الجرس,
فتحت الباب امرأة, بلباس أسود,
وبيدها قنديل غاز. انسلت الريح إلى
الداخل, فأغلق السيد سانتون الباب
في الحال و أحكم اقفاله, ثم قال
كلمات سريعة للعجوز, دافعا الفتاة
إلى الممر, فألى غرفة واسعة يشتعل
الموقد في داخلها. جلست الفتاة

على كرسي قرب النار, سمعت الرجل
يقول لها:

- سأحضر الشاي في الحال.
بعد أن جرع الرجل فنجانة دفعة
واحدة, استأذن منها و تركها
وحدها. حرارة المدفأة و سخونة
الشاي في أحشائها انعشا الفتاة
بسرعة. فنهضت من مكانها و

خلعت معطفها و راحت تتفحص
المكان.

الغرفة كبيرة و جدرانها مطلية
بالكلس و روافدها ظاهرة. أرضيتها
عارية غير مبلطة. طاولة واسعة تحل
إحدى جهاتها, تتسع لأكثر من
عشرين شخصاً.

دخلت المرأة و وضعت على الطاولة
صحنين, شوكتين و سكينتين و

ملعقتين, فلم تعرف جوسلين إن
كانت هي العممة أو خادمة المكان.

سألتها بتهذيب:

-أين ابنة عمي, يا سيدة؟

بحركة حانقة, بدأت تتكلم المرأة

بسرعة ولم تفهم جوسلين منها إلا "

انخيار عصبي".

عاد جيرفيه سانتون بعد أن خلع

سترته. قميصه الكتاني الأزرق مفتوح

على صدره, مظهرًا كتفيه العريضتين.

وسرواله الكاكي لا يتعدى الوركين,

وشعره الغامق قصير جداً. قالت

جوسلين باللغة الانكليزية:

-أخشى أن تكون لغتي الفرنسية

ضعيفة, يا سيد. هل تتكلم

الانكليزية؟

قطب الرجل حاجبيه و أجاب

بالإنكليزية و باشمئزاز واضح:

- نعم يا آنسة بيشوب. لكن كاميليا

قالت لي بأنك تجيدين الفرنسية.

بارتباك أجابت:

- صحيح؟ هذا أمر غريب. أين

كاميليا, يا سيد. هل باستطاعتي

رؤيتها الآن؟

بعد صمت قصير أجاب:

- ابنة عمك نائمة, أصيبت اليوم بألم

حاد في رأسها و أعطتها عمتي حبة

منوم. ولن تفيق قبل صباح الغد.
والآن, من فضلك أن تجلسي أمام
المائدة. عمتي أحضرت لنا العشاء.
كان الطعام بسيطاً وشهياً, مؤلفاً من
شوربا الخضار و عجة البيض
بالأعشاب, وجبنة الروكفور و
الفاكهة و القهوة. خلال العشاء, لم
ينطق الرجل بكلمة و كتبت الفتاة
رغبتها في طرح الاسئلة العديدة

الفضولية, إنما اكتفت بالنظر إلى
صاحب المكان و ملاحظة تصرفاته
الانيقة. يبدو أنه يعيش حياة قاسية,
مع أن يديه نظيفتين و أظافره مقلمة.
بينما كانا يحتسان القهوة, تجرأت
الفتاة و قالت:

- كنت أتوقع أن يكون الطقس حاراً
هنا بالنسبة إلى انكلترا. هل هذه

العواصف تحصل بشكل متكرر, يا

سيد.

رفع الرجل كتفيه و أجاب:

–إنها رياح الميسترال, تأتي من

الشمال, مروراً بوادي نهر الرون.

تعصف منذ أيام عديدة, ولن تستمر

طويلاً.

على أثر الحديث عن الرياح و

الميسترال, علقت العمة الجالسة

قرب النار, فشرح جرفيه للفتاة ما

قالته:

-عمتي تقول بأننا سنحاول جعل

إقامتك ممتعة قدر المستطاع, لكن

منطقة الكامارغ لا تلفت السياح

اجمالا. ولا شك أن ابنة عمك

اعلمتك بأن الحياة هنا قاسية. . .

-أنا أيضا بنت ريف. من فضلك أن

تقول لعمتك أنني أتشكرها كثيرا

للسماح لي بزيارة ابنة عمتي. أعرف
بأن العمل لا ينتهي في المزارع, و
سأحاول كل جهدي عدم ازعاجكم.
وبينما كان الرجل يترجم لعمته, ظل
يرمقها بنظرات غريبة, و بريق ساخر
أنار عينيه. أخيرا سأها:

-هل تركيب الخيل, أنسة بيشوب.

أجابت و عيناها مسمرتان في

القهوة:

- كلاً.

- هل تخافين من الأحصنة, مثل ابنة

عمك.

- كلاً. لم أكن أعرف أن كاميليا

تخشأها. ربما بسبب وضعها, فهي

متوترة الآن أكثر من العادة.

- ربما. لكن هنا, منذ الصغر يتعلم

المرء ركوب الخيل. يجب على ابنة

عمك أن تتعلم ركب الخيل, بعد

ولادة الطفل.

اندهشت جوسلين وقالت:

- لكنني كنت أعتقد بأنهما يسكنان

هنا بشكل مؤقت.

- هل لمحت لك ابنة عمك بأنها لا

ترغب بالعيش هنا؟

- آه, لا... لم تخبرني اطلاقاً عن

مشاريعها المستقبلية. لكنني طنت

أظن بأنهما سيعيشان في منزل

يخصهما.

- هل تعتقدين بأن على المرأة أن

تأخذ القرار بهذا الشأن, يا آنسة

بيشوب؟ هنا الرجل صاحب القرار.

- في انكلترا, القرارات تتخذ من قبل

الزوجين, مشاركة. . .

تقلصت ملامح جبرفيه و تذكرت
جوسلين نصائح والدها. فقال الرجل
بلهجة قاطعة:

-لكننا لسنا في انكلترا, هنا, يا
آنسة, و بما أن ابنة عمك اختارت
الزواج من رجل فرنسي, فعليها أن
تتعلم قبول تقاليدنا و عاداتنا.
عضت الفتاة على شفتيها, ثم
أجابت بتعجرف:

-طبعاً. أنا أكيدة بأن كاميليا ترغب
في التكيف. لم تعرف من قبل الحياة
البيتية و العائلية. لكن شقيقك لا
يعمل في المزرعة, ومن الأفضل لهما
أن يسكنا قرب مركز عمله.

-أخي ما زال في سنوات الشباب
الأولى. و كشباب جيله, يحب الحركة
و التنقل. لكن الريف في دمه, و
هذا ما لا يستطيع الأجانب فهمه.

قريباً, سيريد أن يستقر هنا نهائياً.
ابناء منطقة الكامراغ لا يستطيعون
العيش في المدينة أكثر من سنة أو
سنتين.

شعرت جوسلين بالحوار. كل ما رآته
حتى الآن, يؤكد لها بأن ابنة عمها
كاميليا لن تعرف طعم السعادة في
هذا المكان. حتى الكهرباء, لا وجود
لها هنا.

نهض جيره فجة و قال:

–الساعة تجاوزت الثامنة, وهنا, في

ماس–سان–تون, ننام باكرًا, يا

آنسة بيشوب. لا شك أنك متعبة

من رحلتك الطويلة. عمي مادتون

سترافك إلى غرفتك.

تناولت جوسلين معطفها و شالها و

قفازيها و قالت بلهجة باردة و

مهذبة:

- مساء الخير, يا سيد. شكراً لمجيئك

إلى المحطة و اصطحابي إلى هنا.

أجاب بالفرنسية:

-تصبحين على خير, يا آنسة.

غرفة جوسلين كالحة وأكثر نقشاً

من الغرفة الكبيرة, فيها سرير ضيق,

فوقه ناموسية خضراء, و خزانة

صغيرة من خشب الصنوبر, و

منضدة زينة وضع عليها ابريق ماء و

وعاء فخاري واسع. تحت المنضدة
دلو مليء بالماء. المراحيض تقع في
الخارج و الخروج إليها مغامرة, في
هذه الرياح العاصفة الباردة.

-تصبحين على خير.

ودعت جوسلين العمدة, ذات الشعر
الرمادي المرفوع كعكة, والثوب
الطويل الأسود, التي بدت كأنها
حارسة سجن في لقرن التاسع عشر.

عندما أغلقت الفتاة الباب قالت
بأنها لن تفاجأ إذا سمعت المفتاح
يدور في القفل.

نهاية الفصل الاول

2- ما هذه المزرعة؟ من هؤلاء

الناس؟ ولماذا على جوسلين أن

تحتمل ظلفة راعي الماشية هذا؟ لولا

حمل كاميليا لما حلمت يوماً بالجميء

إلى هنا.

منذ أن استيقظت جوسلين من نومها
في صباح اليوم التالي, شعرت بتغيير
واضح؛ توقفت رياح الميستوال و
الهدوء هم المكان.

قفزت من سريرها, وعلى رؤوس
أصابعها, تقدمت من النافذة,
فتحت مصراعها الخشبيين, فأطلت
الشمس بزهوها ملأت الغرفة
بأشعتها القوية, الساعة تشير إلى

السادسة و النصف, صحيح أنها
أفاقت باكراً, لكنها نامت باكراً
أيضاً, و أضمت ليلة عميقة هادئة
في سرير مريح و دافئ.
على الطاولة أبريق يحتوي على ماء
المطر العذب. اغتسلت, و فركت
اسنانها, ثم أفرغت الماء المستعملة في
دلو وضع تحت الطاولة. وراحت
بعدئذ تفرغ محتوى حقيبتها. علقت

الفساتين و الألبسة على حبل
مخصص لهذه الغاية, و في الدرج
وضعت كتبها و صورة والدها,
فأصبحت الغرفة حميمة. الأحذية و
الحقيبة وجدت مكانها تحت السرير.
وبينما كانت ترتدي سروالاً وقميصاً
متناسقين, سمعت لأول مرة في حياتها
غناء العندليب, فتحت الستائر,
فانقطعت أنفاسها أمام المنظر الممتد

أمامها: سهل واسع, لا نهاية له, تملأ
الشمس بأشعتها الصباحية الدافئة.
تهياً أنها تسكن صحراء واسعة, هي
التي اعتادت العيش في منطقة
تلالية, محمية بالأشجار والأغصان
الشائكة. لم يسبق أن رأيت مثل هذا
المدى الواسع, اللانهائي. فهذا الأفق
الصامت, تتخلله أحياناً مسافات

مائة براقه. ولا شجرة واحدة تكسر
رتابة هذه الأرض, اللامحدودة لها.
لم تسمع أي صوت عندما خرجت
بهدوء من غرفتها. وجدت باب
المدخل مفتوحاً, فاستتجت بأن
جيرفيه و عمته لا بد أن يكونا في
الاسطبل. فقررت القيام بنزهة صغيرة
قبل موعد الفطور, متأكدة بأن
كاميليا ما تزال نائمة في هذا الوقت.

أشجار الدلب تظلل ساحة المنزل,
والشمس قوية تعمي النظر. بعد
عشر دقائق, ندمت الفتاة لأنها لم
تجلب معها قبعة تقيها الحر الالهب,
نظاراتها السوداءوان السميكتان لا
تكفيان لحماية عينيها الحساستين من
وهج الشمس القوية.

كانت تتبع طريقاً مقبرة, تحدها
المستنقعات والمساحات الموحلة

حيث تنمو بعض النباتات البرية
الخضراء. لا نسيم في الأفق, ورائحة
الجو مالحة. لا شك إذن أن البحر
على مقربة من هنا.

كانت تسير منذ نصف ساعة عندما
انعطفت الطريق. على بعد مئة متر,
لحقت قطعياً يرعى. رفعت الحيوانات
رأسها باتجاهها, ثم بدأت تتوجه
نحوها.

لم تعرفها جوسلين انتباهاً, لأنها معتادة
على السير في الحقول المسكونة
بالبقر و الحيوانات الداجنة. لفتت
سمعتها أصوات عصافير آتية من
حوض قصب, وبينما كانت تسير
نحو الحوض, أطلقت إحدى
الحيوانات خوارجاً, ضاربة الأرض
بحوافرها. ارتعبت الفتاة و أدركت
حينئذ بأن هذه الحيوانات ليست من

النوع الوديع, بل ربما تكون ضاربة و
مؤذية.

لو كانت في انكلترا, لأسرعت في
الاختباء وراء حاجز شائك, أو
تسلقت إحدى الأشجار الوارفة.
لكن هنا, في هذا المكان
الصحراوي, لا وجود لأي ملجأ.
ارتعبت و راحت تنظر حولها بيأس

علها تجد منقذاً, و إلا داستها

الحيوانات المفترسة.

بدأ القطيع بكاملة يخور و ينخر. في

تلك اللحظة, وصل فارس على

حصانه, في غيمة من الغبار الكثيف,

و اقترب من الفتاة, حملها بين

ذراعيه, و بلمح البصر, وضعها على

الحصان أمامه, و ظل يسير إلى

الأمام, ممسكا إياها بزمار سروالها.

بعد مسافة كيلومتر تقريباً، توقف
الرجل، هبط عن حصانه و حمل
الفتاة و أوقفها على الأرض. إنه
جرفيه سانتون بذاته، لقد أنقذها من
موت محتوم. فجأة، شعرت بضعف
في قدميها كأنها على وشك الإغماء.
ولما رآها الرجل تتأرجح، ابتلع غضبه
و أمسكها بقوة. و سرعان ما اختفى
الدوار من رأسها. دفعت شعرها إلى

الوراء, أخذت نفساً عميقاً وقالت

بتلعثم:

–شكراً, يا سيد. أنا آسفة جداً.

بذل الرجل جهداً واضحاً للتغلب

على غضبه و قال:

–كيف تقولين بأنك بنت جبل, و

أنت لا تعرفين تمييز البقر من

الثيران؟

لم يسبق أن تـلكم معها أحد بهذه
اللهجة المشمئزة, القاسية. أحست
بالذل و أحمر وجهها و قالت
مرتجفة:

-تصورتها من النوع الداكن. ففي
انكلترا غير مسموح لمثل هذه الثيران
أن تتنزه بحرية.
أجابها بلهجة قاطعة:

- لكن, أنت الآن في فرنسا, آنسة
بيشوب! لو لم أكن ماراً من هنا
صدفة, لمزقتك قرون هذه الثيران و
داست بقدميها عليك... ماذا كنت
تفعلين هنا, في هذه الساعة?
- كنت أتنزه. و لم أكن أنوي إيذاء
أحد.

- مهما يكن, لن أسامح حماقتك. لا
أريد أن ينزعج قطيعي بسبب فتاة

بلهاء لا تعرف استعمال نظرها و

عقلها.

آه, إلى هذا الحد؟ لقد اعتذرت منه

و اعترفت بخطاها, لكنها لن تسمح

له أن يعاملها بكرامية و احتقار.

فأجابت بقسوة:

-صحيح. كيف باستطاعتي, يا سيد

سانتون, أن أعرف مسبقاً بأنك

سفاح و تسمح لثيران متوحشة أن

تتنزه في الريف بحرية مطلقة دون

حارس أو رقيب.

-إنها لا تسبب أي خطر إذا لم

تتعرض لأي تحريض من أحد.

-أنا لم أحرصها!

-لا يجب أن يتقدم منها الانسان

على قدميه. فهي لا تحب ذلك.

-لا تحب ذلك! و أنا, هل تعتقد

بأنني أحببت ذلك. كنت مرتعبة. و

فقدت نظارتي... وتمزقت قميصي...

و أنت تهتم فقط بأحاسيس

حيواناتك المتوحشة!

نظر إلى قميصها الممزق وقال:

- بإمكانك أن تقطبيها.

ثم أضاف وهو يناولها قبعته:

- من الأفضل لك أن تعتمري قبعتي.

رمقته بنظرة غاضبة وقالت:

- كلا, شكراً.

أمرها قائلاً:

–ضعيها, يا آنسة بيشوب. عمتي
منهمكة بأعمال كثيرة, و يكفي ما
تفعله من أجل كاميليا. فليس لديها
وقت تضيعه للاهتمام بك. ضربات
الشمس ليست بأمور ممتعة!

وضع القبعة على رأس الفتاة و راح
يجلب حصانه الذي كان يرعى على
حافة الطريق. وكان من دون سرج.

-هيا, هوب!

أمسك الفتاة من خصرها و وضعها

على ظهر الحصان, وبقفز, كان

جالساً و راءها. ثم قال:

-هيا, يا قيصر! سر!

قطع الرجل الطريق من جهة

المستنقعات كي يتحاشى الثيران. ولم

يبد أن الحصان يتألم من ثقل انسانين

يمتطيانه. لكن, بالنسبة إلى الفتاة,

كانت العودة أصعب تجربة في
حياتها: يزعجها قربها من رجل,
بالكاد تعرفه, و اضطرارها إلى
الاستناد عليه ولمسه و سماع خفقات
قلبه السريعة.

ما إن وصلا إلى المزرعة, أسرع
العمة إلى الساحة على الفور. و لما
لاحظت قميص الفتاة الممزق,
رفعت ذراعيها إلى السماء و

تساءلت عما حدث. طمأنها جبرفيه

قائلاً:

- لا شيء... لا شيء... لا تقلقي،

يا عمتي، كل شيء على ما يرام.

ولما سمعت السيدة سانتون ما جرى

للفتاة، غضبت، و راحت تنتقد

الفتيات الأجنبية وخاصة

الانكليزيات، ثم هزت كتفيها و

اختفت داخل المنزل.

قال جيفيه بعد ذهاب العمه:

- لا شك أنك مشتاقة لرؤية ابنة

عمك. أعتقد بأنها أفاقت من النوم.

غرفتها تقع مباشرة قرب غرفتك.

أعادت له جوسلين القبعة و أجابت:

-شكراً.

ثم اجتازت الساحة وهي مدركة أن

نظرات الرجل تتبعها.

بعد أن غيرت ملابسها, وسرحت
شعرها, شعرت بهدوء داخلي غريب,
لكنها ظلت تلوم تصرف جيرفيه,
غير العادل تجاه المغامرة التي حصلت
لها, و التي يمكنها أن تحصل لأي
انسان آخر يأتي إلى هذه المنطقة
للمرة الأولى.

طرقت باب الغرفة المجاورة, فسمعت
صوتاً ضعيفاً يقول:

-أدخل.

كانت كاميليا ممددة على سرير
واسع. النوافذ الخشبية مغلقة
والضوء الشحيح يعطي جواً غريباً.
-صباح الخير, يا كاميليا, كيف

حالك؟

شعرت الفتاة بالصدمة لدى اقترابها
من السرير. فعليه, امرأة شاحبة,
خداها مجوفان و ذراعاها نحيلتان.

فتحت المرأة فمها لدى سماع صوت

جوسلين و صرخت:

—جوسلين! آه, جوسلين, هذه أنت!

لا يسعني تصديق ذلك. لو تعرفين

بأي صبر فارغ كنت انتظرك!

انحنت الفتاة لتقبل ابنة عمها,

فانهمرت هذه الأخيرة بالبكاء و

النحيب, مثل طفلة خائفة. فقالت

لها جوسلين وهي تداعبها بنعومة:

- لا تبكي, يا حمقاء. . .

- أنا آسفة. سألت عنك منذ أن

استيقظت, فقالت لي السيدة بأنها لا

تجدك في أي مكان.

فضلت الفتاة ألا تتكلم بالتفصيل,

و أكتفت بالقول:

- ذهبت في نزهة صباحية, هل

تريدين أن أفتح النوافذ. الجو معتم و

حزين هنا.

-نعم, افتحها, يتها لي أنني نمت في
مغارة. إنني أكره هذه الغرفة. شكراً
يا إلهي, لقد توقفت رياح الميسترال.
عصفت لمدة أسبوع بأكملة وكدت
أجن.

دخلت العمة حاملة صينية الفطور.
وضعتها على السرير و خرجت من
دون أن تنطق بكلمة. فعلقت كاميليا
قائلة:

- يا لهذه المرأة الشرسة! حين يولد
الطفل, سأذهب إلى مدينة آرز. كم
أنا نادمة لمجيئي إلى هنا.

ملأت جوسلين فنجان قهوة وقالت:

- ولماذا غادرت مدينة آرز؟

- أرغموني على ذلك. كنت أشعر

بالغثيان و الوحام في أشهر حملي

الأولى, كما سقطت ذات يوم و

أصبحت مهددة بخسارة الجنين. ربما

كان ذلك أفضل. كنا سعيدين جداً
قبل أن أحمل. . لكن, منذ بداية
حملي, كل شيء يسير خطأ, إنهم
يكرهونني, و أنا أكرههم, و ... آه,
لا نهاية لذلك...

وضعت جوسلين زبدة فوق قطعة
خبز ساخنة و ناولتها لأبنة عمها,
فرفضتها قائلة:

- كلا, شكراً. أشعر بسوء الهضم.

لا آكل كثيراً, فالطعام لا يطاق...

رائحة الثوم تفوح في كل الوجبات.

- أين جان-مارك؟

تنهدت كاميليا و أجابت:

- لقد ذهب طيلة الأسبوع. إنه يعمل

في مؤسسة تنتج الآلات الزراعية

وهو مسؤول حالياً عن عرضها في

معرض بيون الدولي. كيف كان

استقبال جيرفيه لك؟ أنا لا أراه أبداً

تقريباً. يتكلم معي أحياناً عبر

النافذة.

- لم يكن مرحباً كما يجب. يتهاى لي

أنه يعشق ثيرانه و يكرس لها حياته

كلها.

- آه, في منطقة الكامارغ, الجميع

مجانين بالثيران. و لهذا السبب

جيرفيه و عمته لم يعجبهما زوجنا.

كانا يعتقدان بأن جان-مارك بعد
أسفاره العديدة, سيعود إلى الضيعة
و يستقر فيها و يتزوج واحدة من
سكانها. بالنسبة إليهم, حتى ولو
تزوج فتاة من مرسيليا, فستكون
أجنبية. و جميع سكان الكامارغ
يفكرون التفكير إياه. و يقول عنهم
الفرنسيون عامة بأنهم شعب منغلق
على نفسه.

– لماذا قلت لهم بأنني أتكلم

الفرنسية؟

– آه, لم يريدوا أن تأتي... قال لي

جيرفيه بأن لا وقت لديه أن يهتم

بك و يترجم لك. فقلت له أن

باستطاعتك تدبير أمرك. فلا ضرورة

أن تبقي سجينة هذا المكان لمدة

ثلاثة أسابيع. إذا أعاروك سيارة

الجيب , بإمكانك زيارة القرى و
المدن المجاورة.

لم تقل الفتاة أنها لا تستطيع قيادة
الجيب , خاصة في هذه المنطقة
المجهولة , إنما سألتها:

-وكيف جرى أن جيرفيه يتكلم
الانكليزية؟

-هو أيضاً سافر... من زمان... لما
توفي زوج عمته , عاد ليدير المزرعة.

جان-مارك وهو مختلفان كلياً. زوجي
لا يريد البقاء في المزرعة, بينما يصر
أخوه على ذلك. إنه تقليد عائلي لا
مفر منه.

-وماذا يريدونه أن يكون؟

-حارس القطيع... كاوبوي بمعنى

آخر. جيرفيه مالك القطيع و جان-

مارك حارسه. هل تدركين الآن أي

نوع من الحياة نعيش. الصيف ليس

ممتعاً, والشتاء صحراء حقيقية. ولا
شك أنك رأيت وضع المراحيض
والحالة البدائية التي نعيش فيها!
-حتى الصالون ليس مريحاً. آه, لقد
نسيت, لقد جلبت لك هدية.
سأذهب و أجلبها في الحال.
عادت الفتاة حاملة علبة صغيرة و
قالت:

- ما زالت أتذكر بأنك تستعملين
مساحيق ريفلون للتجميل. أحضرت
لك آخر منتوجاتها مدركة بأن لا
وجود لها هنا.

- طبعاً لا. ناوليني المرأة, من
فضلك. أريد أن أجرب حمرة الشفاه
هذه.

نظرت إلى ابنة عمها تلون فمها
الجميل بتأن. لقد اختارت لها هذا

اللون العنبري لأنه يناسب عينيها
الخضراوين و شعرها الكستنائي
الفاتح. لكن شعرها اليوم أصبح
باهتاً, و هذه الحمرة تظهر ملامحها
المشدودة والتجاويف السوداء تحت
عينيها. لا أحد يمكنه معرفتها, هي
التي كانت تلك الفتاة الحيوية,
النشطة, صورها تظهر دائماً في
مجلات الموضة النسائية.

مضت فترة الصباح بسرعة. و كان
الحديث شيقاً, بعد فراق دام حوالي
السننتين. وقبل موعد الغذاء بقليل,
أطل جيرفيه من النافذة و قال:
-صباح الخير, يا كاميليا. كيف

حالك اليوم؟

كانت قميصه مليئة بالوحل. و
وجهه ملطخاً بالغبار والعرق, و

قبعته مدفوعة إلى الوراء. انتفضت

زوجة أخيه و قالت:

—آه, يا جيرفيه. . . فاجأني!

قبل ثواني قليلة كانت مسترخية و

الابتسامة تتلأأ على شفيتها, والآن,

وجهها الشاحب أصبح حذراً و

متخوفاً. أجاب جيرفيه شارحاً:

—أنا آسف, لم أكن أنوي مفاجأتك.

جئت أطلب من الأنسة بيشوب إذا

كانت لا تجد مانعاً من تناول الغذاء

معنا. هكذا لن تحضر عمتي إلا

صينية واحدة, صينيتك طبعاً.

سألت جوسلين الرجل:

-هل حان وقت الغذاء, يا سيد

سانتون؟

-كلا, علينا أن نغتسل الآن. انزلي

بعد عشر دقائق و سأعرفك

بالآخرين.

سألت الفتاة ابنة عمها:

-سيعرفني إلى من؟

-رجالهم. انهم حوالي الدزينة.

معظمهم ينامون في الملحقات و

يتناولون وجبات الطعام هنا. ليس

من سبب كي تتناولي طعامك معهم.

-لا يهمني هذا الأمر. لا أريد أن

أفرض على العمه عملاً إضافياً. لا

شك أنها تمضي وقتها في المطبخ

لتطعم هذه الأفواه العديدة. هل تهتم

بالمنزل وحدها؟

-طبعاً. انها تتمتع بقوة الحصان.

بالنسبة إليها, هذا هو دور المرأة.

فيماكانها بسهولة أن تحضر صينيتين.

-لا يهم. حين ينتهي الغداء, أعود

إليك.

كانت تجربة مزعجة للفتاة, أن تدخل

غرفة مليئة بالفرنسيين يسلطون

عليها عيونهم الغامقة. و شعرت
بارتياح عندما تقدم جيرفيه منها و
عرفها إلى جماعته, قبل أن يدها على
الكرسي الموضوعه خصيصاً لها, في
طرف الطاولة.

- لكن, أليس هذا مكانك؟

- أفضل لك أن تجلسي على

الكرسي بدل البنك. و أسمح لي

أن أعرفك إلى رئيس الحراس مارسيل

روجيه, هناك... الأنسة بيشوب.

ابتسمت الفتاة وهمست تقول:

— أنا سعيدة للتعرف إليك, يا سيد.

جلست على الكرسي, وتبعها

الجميع.

بدأت السيدة سانتون تقدم يحنة

الخضار بالخروف من قدر فخارية

واسعة, و تنقلت الصحنون من يد

إلى يد أخرى.

و باستثناء جيرفيه, الجميع يرتدون

قبعاتهم, يأكلون و يشربون بشهية,

انهم عمال نهضوا من نومهم منذ

الفجر. و تساءلت جوسلين إن كان

وجودها يجعلهم صامتين, أم أنهم

هكذا عادة. كانت تشعر بالانزعاج,

عيناها محدقتان بصحنها , كأنها

دخيلة أو جاسوسة.

و حسب تقاليد البلدة, مسحت

صحنها بقطعة خبز. في تلك الأثناء,

أحد الحراس أطلق زفرة استغراب و

أخرج من جيبه زوج نظارات شمسية

وقال:

—هاتان النظارتان للفتاة يا معلم

جيرفيه!

سأل جيرفيه الفتاة:

-هل هذا صحيح؟

هزت رأسها موافقة, فناولها حارس

شاب إياهما و قالت له:

-شكراً, يا سيد.

شرع جيرفيه يخبر رجاله كيف

أضاعت الفتاة نظارتها, فشعرت

بالإزعاج حتى الأعماق.

ولما علم الرجال بأنها اعتبرت الثيران
المتوحشة السوداء قطيعا من البقر
الداجن, راحوا يقهقهون بصوت
مرتفع, هازئين و ساخرين. في
مواقف أخرى, كانت شاركتهم
جوسلين الضحك, لكنها أدركت أن
جيرفيه يحاول الهزء منها عن سابق
قصد. فاستطاعت كبت انزعاجها و
ابتسمت بخجل و ظلت تحديق في

القرويين, ويداها مشدودتان و
وجهها أحمر. لم يزعجها تصرفهم
العفوي, لكن قلبها انجرح من
نظرات جيرفيه الهازئة. لم يخطئ
حدسها, عندها لاحظت عدائية
جيرفيه اتجاهها منذ البداية. فكامليليا
إذن على حق: آل سانتون لا يحبون
الأجانب.

خلال الأيام الأربعة الأولى, لم تغادر
الفتاة غرفة كاميليا, إلا عندما تناولت
وجبات الطعام من العمال. لو كانت
في انكلترا لمدت يد المساعدة إلى
العمة في توضيب مائدة الطعام و
غسل الصحون, لكن لا شك أن
العجوز تعتبر ذلك تحدياً, و لرفضت
مساعدها بوقاحة.

بدأت صحة كاميليا تتحسن بوجود
ابنة عمها, و استعادت شهيتها على
الطعام, وكذلك نشاطها و عافيتها.
غير أن جوسلين ما زالت قلقة
عليها. فهذا المنزل المنعزل, الخالي
من جميع وسائل الراحة, من
الكهرباء و ماء ساخنة... هذا المنزل
البدائي لا يناسب امرأة ستضع
طفلها عما قريب. لكنها لم تخبر

كاميليا بقلقها, بعدما قررت فتح
هذا الموضوع مع جان-مارك لدى
عودته من ليون.

ونهار الجمعة, بعد الغداء, قررت
كاميليا أن تنام في فترة القيلولة.
فشعرت جوسلين بحاجة إلى المشي.
الطقس جيد ولا ترغب في قضاء
وقتها بين أربعة جدران.

وما إن اصبحت جوسلين خارج عتبة
المنزل, حتى سمعت أصواتاً وصهيل
خيول. بفضول ذهبت نحو المستودع
فرأت عمالاً و أولاداً, جالسين على
الحواجز. اقتربت قليلاً و لمحت في
أحد العنابر صاحب الماشية مع أحد
حراسه, يضعان الرسن على حصان
صغير.

بعد قليل, انسحب الحارس, فامتطى

جيرفيه المهر- وفي الحل, تجمد

الحيوان, رفع اذنيه إلى الوراء

وابيضت عيناه, ثم قفز محدثاً صيحة

رهيبة ارعبت الفتاة كثيراً. لم يسبق لها

أن رأت مقل هذا المنظر من قبل.

هل هذا ما يسمونه ترويض الحصان؟

كيف بإمكان فارسه أن يظل على

ظهر لا يتوقف ثانية عن الهيجان و

الوثوب. لكن جيره ظل يتبع
حركات الحصان. الغبار يرتفع,
الأولاد يصفقون و العمال يطلقون
أصواتاً مشجعة للفارس الماهر.
دامت المباراة خمس دقائق, خلالها
كانت الفتاة تشعر بالإعجاب لصبر
و مكابدة أهل هذا البلد.
ولما بدا على الحيوان التعب, انحرف
جانباً, فعلت أصوات التحذير من

قبل الحضور, وما كاد يرتقي الحيوان
على ظهره, رافعاً حوافره الأربعة في
الهواء, حتى سحب جيرفيه رجلية و
ابتعد. لو تأخر نصف ثانية

لتحطمت ساقه. انبطح الرجل على
الأرض المغبرة, ثم نهض, غير مصاب
بأذى.

نفض الرجال الغبار عن ملابسه
وتبادل كلمات المديح و النكات مع

عماله, ثم تقدم من الحيوان و راح
يداعب عنقه.

وبينما كان الحراس يضعون الرسن
على حصان آخر, لمح جيرفيه
الفتاة, فقفز فوق الحاجز و اقترب
منها و سأها:

-هل ترغبين في رؤيتي, آسنة
بيشوب؟ هل هناك مشاكل؟

- كاميليا تنام, و أنا سمعت ضجة,

فجئت أرى ماذا يحصل. هل

يزعجك إن بقيت أشاهد من هنا.

- لا, أبداً.

كان يقف أمامها, يدها على وركيه و

قبعته منحرفة إلى الورااء, يلهث

بشدة. ابتسم و قال:

- ابنة عمك لا تحب هذه المشاهد.

و اقنعت أخي بعدم مساعدتي.

سألته جوسلين باهتمام و تهذيب:

-كم من الوقت يحتاج الحصان

للترويض؟

-نحن هنا نعلم الحصان أن يفعل ما

نطلبه منه. ولا يمكن لأحد في هذا

المكان أن يروض حصاناً يولد و

ينمو في منطقة الكامارغ.

-حتى أنت, لا تستطيع ترويض

الحصان, يا سيد سانتون؟

-لم أحاول ذلك أبداً, آنسة
بيشوب. انني أعرف تماماً قيمة
حرיתי. و الآن, أرجو معذرتي.
ابتعد الرجل وقفز فوق الحاجز.
في هذا المساء, وفي الوقت الذي
كانت الفتاة تستعد فيه للنهوض عن
مائدة العشاء, قال لها جيرفيه:
-سأذهب في الغد إلى مدينة آلرز,
آنسة بيشوب. هل يمكنك أن تسألني

ابنة عمك إذا ما كانت تحتاج لشيء

اشترية لها. سأغادر في الصباح

البكار... قبل نهوضها من النوم.

— سأذهب في الحال, يا سيد.

فرحت كاميليا بهذا الخبر وقالت لأبنة

عمها:

— آه, نعم, هناك أشياء كثيرة أنا

بحاجة ماسة إليها.

تناولت المرأة مفكرتها الجديدة الزرقاء
المطعمة بأحرف اسمها, و المبطنة
بالحرير المموج, ثم سحبت من طرفها
قلم حبر ذهبي, و راحت تدون
عليها ما يلي.

–صابون... قطن... سكاير

انكليزية... هذا لا يعجب جيرفيه.

فهو لا يحب النساء اللواتي يدخنن.

-بنظري, يجب أن تحاولي الاقلاع

عن التدخين. فهو مضر بصحة

الجنين.

-آه, أنت أيضاً, بدأت تنهالين علي

بالنصائح. يكفيني النصائح الصادرة

من جيرفيه و عمته. اسمعي, لماذا لا

تذهبين معه و تقومي عنه بشراء هذه

الأغراض. هكذا توفرين عليه وقتاً و

ستتاح لك فرصة زيارة الآثار و

المتاحف هناك. لقد أمضيت هنا
اسبوعاً مملاً, حابسة نفسك في هذه
الغرفة معي.

ذكرتها جوسلين قائلة:

-جئت إلى هنا لأبقى بجانبك. لكن,

ربما من الأفضل أن أقوم بهذه

المشتريات بنفسي, إذا كان السيد

سانتون لا يرى في ذلك مانعاً.

استقبل جيرفيه الخبر بقلة حماس.

لكن بعد تفكير و تحليل, أعلن

قائلاً:

—حسناً, آنسة بيشوب. سنغادر في

الثامنة صباحاً.

وفي صباح اليوم التالي, ارتدت

جوسلين فستاناً قطنياً معرقاً, و رأت

جيرفيه على مائدة الفطور عندما

دخلت غرفة الجلوس. نهض و تأمل

فستانها و حذاءها ولم تعرف إذا
أعجبه منظرها أم لا . أما هو , فكان
يرتدي قميصاً زرقاء و سروالاً ضيقاً ,
كاكي اللون . و انتعل فوق حزمته
الجلدية غطاء من الكاوتشوك الواق .
وما ان انتهت من تناول الفطور حتى
صعدت في سيارة الجيب . نظرت
إليهما العمة وهما راحلان دون أن
ترد على ابتسامة الفتاة و وداعها .

ران الصمت في الدقائق العشر
الأولى, قطعه جيرفيه أخيراً عندما

سألها فجأة:

—أخبريني يا آنسة بيشوب, ما هي
مهنتك؟ هل أنت عارضة أزياء مثل

ابنة عمك؟

—لا, شكراً يا إلهي! لماذا أخذت

هذه الفكرة عني؟

-عمتي تساءلت الشيء نفسه.

فكاميليا لم تخبرنا بشيء.

بصوت عال أجابت:

-أنا مدبرة منزل.

-تقصدين ربة منزل.

-نعم, أهتم بوالدي. انه طيب.

-فهمت. اذن كيف استطعت المجيء

إلى فرنسا هل لديك خدام يجلون

مكانك؟

-تزوج أبي من جديد, و لولا ذلك

لما استطعت المجيء.

-وهل ستستمرين في إدارة المنزل.

-آه, لا. هذا دور زوجته الآن.

سأبحث عن عمل, لكنني لا أعرف

نوعيته. لا أستطيع أن أعمل شيئاً

خارج ادارة المنزل.

-ابنة عمك لا تعرف شيئاً في هذا

المجال.

- هذه حال معظم الفتيات , في أيامنا
هذه. يتعلمون إدارة المنزل في حينه.
و كاميليا ستتعلم ذلك بسرعة متى
اسست لعائلتها منزلاً. سيكون ذلك
صعباً عليها , كونها فتاة أجنبية. الفتاة
الفرنسية تعاني المشاكل إياها إذا
تزوجت من رجل انكليزي.
- نساؤنا لديهن غريزة طبيعية لهذا
النوع من الأعمال.

آه, إنه يتكلم عن النساء كما في

القرن التاسع عشر!

لم يتسن لها الوقت لإيجاد رد

مناسب, لأنها رأت فجأة عصافير

يرتفع فوق المستنقع الممتد على

طول الطريق, و يخلق في السماء

الزرقاء مثل غيمة وردية. لم يسبق أن

رأت بجمال هذا المنظر و سحره

المفاجئ. فقبل لحظة كان الجبل

صحراوياً...

-آه, هذا رائع جداً. ما هذا النوع

من العصافير؟

كبح الرجل فرامل سيارته و أوقفها

جانباً و أجاب:

-إنها طيور طويلة الساق و العنق,

كما ترين و تدعى النحاميات. نحن

هنا نسميها " الزهور الطائرة".

نزلت جوسلين من السيارة لتأمل

منظر هذه العصافير الجميلة, ثم

قالت باستغراب:

-عصفور النحام في فرنسا؟ كنت

أعتقد بأنها موجودة فقط في المناطق

الاستوائية. انظر إن عددها يتجاوز

الألف.

-لا يوجد مثل هذه العصافير, هنا في

فرنسا, إلا في منطقتنا, في الكامارغ.

هل تهتمين بالعصافير, آنسة

بیشوب.

- كلا, ليس تماما. انها عصافير

غريبة. و العندليب عصفور غريب

أيضاً. و وجوده كثير هنا, كالشحرور

في انكلترا. هل زرت بلادي, يا سيد

سانتون. اخبرتني كاميليا بأنك

سافرت كثيراً.

أجاب باختصار وهو يقلع:

- لقد مررت بلندن.

- تتكلم الانكليزية بطلاقة.

نظر إليها ساخراً وقال:

- تعلمت اللغة الانكليزية في ليون,

خلال دراستي الجامعية. هل هذا

يدهشك يا آنسة بيشوب؟

- لماذا؟ لا سبب كي أندهش.

كان ينظر إلى الطريق, فلمحت

الفتاة تقلص فمه في ابتسامة

متعجرفة ثم قال بجفاف:

-تفعلين قدر مستطاعك كي تخفي

عني نظرتك بي. لكنني أعرفها. أنت

تعتبريني انساناً غليظاً, أليس كذلك؟

لم تتوقع الفتاة ذلك منه, لكنها

أجابت بحذر:

-بالكاد أعرفك, يا سيد. لكنني
لست ساذجة لأصدق كل ما يقال
عن الفرنسيين بأنهم جميعاً لطفاء و
محبين.

كبح فرامله فجأة ليتحاشى السقوط
في حفرة عميقة, اضطرت الفتاة
التمسك في مقعدها كي لا ترتطم
بنوافذ السيارة الأمامية. فقال لها:

– عفواً, آنسة بيشوب. طرفنا
رجراجة. آمل ألا تكويني منزعجة من
الرجة.

احمر وجهها و ظلت صامته. لكنها
كانت مضطربة منذ أن بدأت فهم
التأثير الذي يفعله بالنساء عامة, متى
أراد ذلك. عم الصمت بقية الطريق.
أخيراً وصلا إلى مدينة آلرز. أوقف

جيرفيه سيارته أمام مقهى في جادة

الأمراء و سألها:

-هل تحبين احتساء مرطب منعش؟

هزت رأسها موافقة و تبعته إلى

داخل المقهى. احتسب الليموناضة

المثلجة بسرعة, ثم دف الرجل فاتورة

الحساب, ونهض قائلاً:

-هل باستطاعتك تدبير أمرك

وحدك؟

- لغتي الفرنسية تكفي لأن أقوم

بالشراءات من دون صعوبة.

- في هذه الحال, موعدنا هنا عند

الظهر. إلى اللقاء يا آنسة.

رأته يتعد, من طريقة مشيته, يفهم

الآخرون أنه واثق من نفسه, كأنه

يملك المدينة كلها. لم تستطع منع

نفسها من التساؤل, لماذا هذا

الرجل, الذي سافر وقام بدراسات

جامعية, اختار أن يكون صاحب
ماشية, في غضون ساعة انهدت الفتاة
مشترياتها, و وضعتها في سلة داخل
المقهى, ثم راحت تجوب المدينة
كسائحة. الجادة الكبيرة التي يحدها
شجر الصفصاف هادئة تماماً.
الكنائس الموحية بالهبة و المقابر
الضخمة, ذكرت الفتاة بالرومان و
ثوبهم يتمايل مع خطواتهم الإيقاعية,

في حركة وضجيج العربات.
أغمضت جوسلين عينيها برهة, فتهياً
لها أنها تعيش في تلك العصور
القديمة.

وصلت أخيراً إلى قلب المدينة,
الشوارع تكتظ بحركة مستمرة. إنه
يوم السبت, يوم المزارعين الذين
يأتون إلى المدينة لعقد صفقات
أعمالهم.

وجدت المقهى مليئاً، لكن خلال
ثوانٍ معدودة أخلت إحدى العائلات
طاولة فشعرت جوسلين بارتياح و
جلست أمام تلك الطاولة تحتسي
شراب الليموناضة. أمامها نصف
ساعة قبل عودة جيرفيه.
لم يعد وحده. بل مع فتاة شابة،
سمراء، قصيرة، ترافقه متأبطة ذراعه
باسترخاء.

–الآنسة بيثوب... الآنسة

دورانس. الآنسة بيثوب ابنة عم
كاميليا, يا سيلين. تمضي بضعة أيام
عندنا في المزرعة.

نهضت جولين و مدت يدها تسلم
على الفتاة الفرنسية, قائلة:

–تشرفت بمعرفتك. كيف الحال؟
ابتسمت سيلين مظهرة عن أسنان
ناصعة جميلة, طلاء أظافرهما يشبه

لون حمرة شفيتها. ترتدي قميصاً
وردياً وتنورة مكسرة كحلية خصرها
نخيف و رأسها بالكاد يصل إلى كتف
جيرفيه. قال هذا الأخير شارحاً:
-دعيت سيلين لتناول طعام الغداء
معنا.

خرج الجميع إلى شرفة المقهى بعدما
أخلى لهم الخادم طاولة واسعة مظلة.
وبعد قليل, سألت سيلين جوسلين:

-هل هذه رحلتك الأولى إلى فرنسا

يا آنسة بيشوب؟

-نعم.

احتارت جوسلين. الشوارع مليئة
بالبفتيات الجميلات, لكن سيلين
مختلفة عنهن. حقية يدها البسيطة و
حذاؤها الفاخر, و عطرها الناعم,
وملابسها الأنيقة, كل ذلك يشير إلى
أنها فتاة باريسية. ماذا تفعل هنا في

آلرز... مع رجل مثل جيرفيه

سانتون؟

خلعت الفتاة الفرنسية نظارتها و

قالت:

- كيف حال ابنة عمك؟ التقيت بها

مرة واحدة عندما كانت تسكن مع

جان-مارك في شقتهما, شارع

غانبيتا. هل ما تزال في صحة سيئة؟

– انھا تتحسن قليلاً. هل تسكنين في

مدينة آلرز, يا آنسة؟

– لدينا منزل في المدينة حيث امضي

أشهر الشتاء. لكن, في الربيع, أعود

إلى مزرعة والدي, انه صاحب

ماشية, مثل جيرفيه. ومزرعتنا ليست

بعيدة عن مزرعة سانتون, انما ماشيتنا

اسبانية, بينما ماشية جيرفيه مؤلفة

فقط من الثيران الأصلية التابعة

لمنطقة الكامارغ, أليس كذلك, يا

عزيزي؟

جاء الخادم, و بينما كان جيرفيه

يختار الطعام مع سيلين, من دون

استشارة جوسلين, تساءلت هذه

الأخيرة إذا التقى سيلين صدفة, أم

كان على موعد مسبق معها.

أخرجت سيلين من حقيبة يدها علبة

سكائر و قالت:

-هل تدخين يا آنسة بيثوب.؟

كلا؟

تناولت الفتاة الفرنسية سيكارة،

وقبل أن تضعها في فمها، وضع

جيرفيه يده على معصمها وهز رأسه

و قال:

-ليس الآن... انتظري نهاية الغداء.

-آه، أنت مزعج مثل والدي...

أحضر الخادم المقبلات المؤلفة من
الزيتون الأسود و الخيار و الفطر و
الطماطم و البيض المسلوق. فجأة،

قال جيرفيه:

-هل تمكنت من القيام بجميع

الشراءات يا آنسة بيشوب؟

-نعم، شكراً. و قمت أيضاً بتجوال

حول المدينة. الطقس منعش، تحت

أشجار الحور و الصفصاف.

قالت سيلين:

- لا شك أنك تجدين مناخنا حاراً،

أنا أحب هذا الطقس. فرحي

الوحيد، أن أكون طول النهار تحت

الشمس... ان أمتطي حصاني و

أجوب مسافة طويلة دون أن التقي

أحداً... آه، هذا ما أفضله أكثر من

أي شيء آخر.

قال جيريفيه بجفاف:

- ما دام الحال هكذا, لا أفهم لماذا

تمضين أوقاتاً عديدة في باريس؟

ضحكت وقالت:

- و أحب باريس أيضاً. اذهب إليها

لاختيار ملابس. ألا تحب أن أبدو

جميلة يا حبيبي؟

- أنت جميلة بطبيعتك.

- صحيح.

-طبعاً. هيا, أكملني طعامك, يا

عصفورتي.

ذهلت جوسلين ولم تصدق ما سمعته,

خاصة ما صدر عن جيرفيه سانتون.

لا شك أن علاقة الرجل بالفتاة

الفرنسية قديمة. لكن هل هي علاقة

أخوة أم علاقة حب جديدة؟

أحضر الخادم الوجبة الأساسية
المكونة من فخذ غنم محمر بالفرن,
وإلى جانبه البازلاء و البطاطا.
وبين الحر و الطعام الشهي, بدأ
النعاس يتغلب على جوسلين, بينما
بقيت سيلين في حيويتها ونشاطها.
تتكلم باستمرار مع جيرفيه, وتبتسم,
من حين إلى آخر إلى الفتاة
الانكليزية التي, ظاهرياً, لا يبدو أنها

تشارك الرجل كرهه و عدائته
للأجانب.

بعد القهوة, أشار جيرفيه للخادم أن
يحضر الفاتورة, فاقترحت الفتاة
الفرنسية قائلة:

-لماذا لا تمر علينا في المساء, يا
جيرفيه. لم يرك والدي منذ شهر
تقريباً. ربما تحب الأنسة بيشوب أن
تأتي معك.

قالت جوسلين بتهذيب:

- هذا لطف منك, يا آنسة, لكنني

أفضل البقاء مع كاميليا, خاصة انها

أمضت هذا اليوم وحدها.

- آه, نعم, لم أفكر بذلك... جان-

مارك في ليون, أليس كذلك لكن

أنت, يا جيرفيه, هل ستأتي؟

- كلا, ليس هذا المساء, يا سيلين.

بدأت الخيبة على وجه الفتاة
الفرنسية, لكنها لم تصر, بل اكتفت
بالقول:

-إذن, ربما لرؤيتك في الغد. لم أر

العمة مادلون من زمان.

-أهلاً وسهلاً بك دائماً, يا صغيرتي.

أمام المقهى, ودعتهما سيلين,

وبصمت توجه جيرفيه و جوسلين

نحو سيارة الجيب التي انطلقت عائداً

إلى المزرعة. في منتصف الطريق
أوقف جيرفيه سيارته ليتحدث مع
سائق سيارة جيب أخرى, آتية
بالاتجاه المعاكس. ثم عاد و أقلع من
جديد. بعد قليل, قال بهدوء:
-الرجل الذي تحدثت معه منذ
قليل, هو الطبيب الذي ذهب لرؤية
ابنة عمك, كالمعتاد.
قالت الفتاة باندهاش:

-ولماذا لم تقل لي ذلك من قبل.
كنت أرغب في أن أكلمه أنا أيضاً.
آه, كان يجب عليك أن تقدمني إليه.
-ولماذا؟ انه لا يتكلم الانكليزية,

وحال ابنة عمك مطمئنة.

قطب حاجبيه, ثم هز كتفيه وقال
شارحاً:

-عامه, يأتي عندما يكون أخي هنا.
طبعاً, لو كنت أعرف اصرارك على

رؤيته لعرفتك به. لكن, لا حاجة
للقلق الآن. انه طبيب جيد وله خبرة
واسعة في مجال تطبيب النساء
الحوامل.

-هل هو موافق على أن تسكن
المزرعة؟

-هل هذا يعني بأنك تمنعين ذلك؟
عضت الفتاة على شفيتها وقالت:

- كنت أفضل لو تذهب إلى

المستشفى, ماذا لو أصيبت

بأشتراقات...

قاطعها الرجل قائلاً:

- ولماذا سيحدث لها اشتراكات؟ انها

شابة و بصحة جيدة و يراقبها

الطبيب باستمرار. ويعتقد بأن

ولادتها ستكون طبيعية.

احتجت الفتاة وقالت:

- لكنها نحيلة و واهنة.

- إذا كانت ترفض الأكل, فماذا

باستطاعتنا أن نفعل. ان نجبرها؟

- انها غير معتادة على المطبخ

الفرنسي... الثوم... الزيت...

- وأنت مثلها يا آنسة بيشوب. لكن

يبدو أنك تأكلين طعامنا ولا تعاندين

إلا إذا كنت تتصنعين ذلك.

- كلاً. أرى طعامكم رائعاً. لكن، لا

تنسى أن كاميليا امرأة حامل و...

قاطعها قائلاً:

- ابنة عمك ترفض التكيف. وهذه

هي مشكلتها الأساسية. لن

تساعدنيها إذا شجعتها في هذا

التصرف. يكفي أن أخي متساهل

معها كثيراً.

أجابت الفتاة ببرود:

- لأنه يحبها , ربما . معظم الرجال
يدللون نساءهم عندما ينتظرن
مولوداً سعيداً . لكن , ما دمت أنت
غير متزوج , فلا تستطيع فهم ذلك .
- لا يحتاج الرجل أن يكون متزوجاً
كي يفهم النساء . ابنة عمك بحاجة
إلى بعض القسوة . النساء كالفرس ,
يطلبن الصلابة و الحزم .

-صحيح لا عجب أن تكون عازباً

في سنك, يا سيد سانتون.

-أنت لا توافقيني الرأي تفضلين

الأزواج اللينين؟

-نظرتي إلى الزواج تختلف كلياً عن

نظرتك, على ما يبدو. كما لن أتزوج

رجلاً لا يرى بأنني على درجة معينة

من الذكاء.

-صحيح بأن النساء كائنات
غريزيات, لكن هذا لا يعني بأنهن
غير ذكيات. أنت ما زلت صغيرة, يا
آنسة, وربما لا تعرفين بعد نوعية
مزاجك و شخصيتك الكاملة.
عندما تكونين لنفسك خبرة أكبر,
ستفهمين بأن النساء خلقن للطاعة,
ولا يمكن للطبيعة أن تتغير.
احتجت برود قائلة:

- الأيام تتغير. أنت رجل تقليدي,

أليس كذلك؟

ظهرت المزرعة من بعيد, جدرانها

البيضاء تلمع تحت الشمس.

- هذا ممكن, لكن هذا لا يغير طبيعة

العلاقة الموجودة بين الرجل والمرأة.

ألا تجدين أن ابنة عمك تأخرت في

الندم على زواجها.

- لكنها ليست نادمة على شيء.
إنها تحب أخاك كثيراً. ومهما يكن,
كيف باستطاعتك أن تطلب منها أن
تكون سعيدة, بينما أنت و العممة لا
تظهرا نحوها محبة معينة, ولا أي
حظ للتكيف الصحي.

- هل تتهميني و تتهمين عمتي بعدم
التلاطف مع ابنة عمك؟

قالت الفتاة لنفسها: مهما فعلت و
قلت, لن أتوصل إلى جعله فهم
شيء مما أريد. فقالت معتذرة:
- كلا, طبعاً, يا سيد. ليس هذا ما
أقصده. لكن بإمكانكما أن تكونا
متسامحين معها أكثر. كاميليا فتاة
شديدة الحساسية, تعرف بأنكما لا
تجبانها, وهذا يجعلها فتاة تعيسة.
أخوك أيضاً ليس في وضع سهل.

لكن لا جدوى في معارضة زواجهما.
ربما من الأفضل لو تقف إلى جانب
أخيك و تساعد كاميليا على
التكيف.

أوقف جيرفيه سيارة الجيب. خبع
قفازيه و رماهها إلى الورااء, ثم التفت
نحو الفتاة وقال:

—مساعدها؟ بأي طريقة؟

—آه, بطرق عديدة.

كانت الفتاة تعي بأن فستانها يجعلك
و وجهها عابق من شدة الحر, لكن
نظرات جيرفيه المحدقة بها, و دنو يده
السمراء من كتفها, وترتاها,
فشعرت بالتقلص فجأة. ماذا لو
لمسها من دون وعي. كانت تخاف.
انه مختلف عن بقية الرجال. لكنها لا
تعرف لماذا تشعر بذلك. سأها:

—مثلاً؟

-بتشجيع الأنسة دورانس أن تأتي

لزيارتها, مثلاً. كاميليا بحاجة إلى

صديقات, و يبدو أنهما تتبادلان

الاهتمامات نفسها.

-طبعاً, هذا اقتراح مليء بالوحي!

اضطربت جوسلين لتعبير وجهه

الهازي وقالت:

-لا أفهم.

-هناك أشياء كثيرة لا تفهمينها.

أنت هنا منذ أسبوع و دعيني أقدم

لك نصيحة, يا آنسة, عليك بالترفيه

عن ابنة عمك. قريباً, ستلد و

سيملاً الطفل أوقات فراغها.

احمرت جوسلين وقالت مدافعة:

-كنت أريد فقط مساعدتها.

-أنا أكيد من ذلك. و معك حق أن

تعتقدي أن سيلين و كاميليا تتبادلان

الاهتمام نفسه. لأن سيلين كانت
الفتاة التي كان أخي سيتزوج منها,
لو لم يذهب إلى باريس العام الفائت.

نهاية الفصل الثاني

3- اكتشفت جوسلين أن كامليا
ليست ضحية مسكينة كما تحاول أن
تظهر وقررت الرحيل في الوقت
المناسب لتجنب ظلافة جيرفيه, لكن
العمة سقطت و عليها أن تقبل

التحدي و تبقى أو ترحل فتخسر
تحديها...

استقبلت كاميليا ابنة عمها عندما
دخلت غرفتها بمزاج سيء قائلة:

- أنتظرك منذ ساعتين!

- أنا آسفة. لم أعرف مسبقاً بأن

جيرفيه ينوي تناول الغداء في آلرز.

لقد جلبت لك كل ما طلبته.

أفرغت الفتاة محتوى السلة على
السريـر راغبة في غسل وجهها و
يديها و تغيير ملابسها, ثم قالت
للـمرأة الجالسة أمام منضدة الزينة,

قرب النافذة:

—جاء الطيب لرؤيتك, أليس
كذلك؟ لقد التقينا به في طريق

العودة.

-انه رجل حقير و مقيت... كانت
رائحته تفوح بالثوم. اسمعي, سأغسل
شعري قبل عودة جان-مارك, غداً.
و ستساعديني في ذلك يا جوسلين.
لم يعد باستطاعتي غسله وحدي.
اجلبي لي ماء ساخن من عند العمه.
-أليس من الأفضل أن تغسله غداً
صباحاً؟ سيأخذ وقتاً طويلاً قبل أن
يجف, يا كاميليا.

لكن كاميليا أجابت بإصرار عنيد:

– كلا, كلا.. أريد أن أغسله الآن,

في حال وصل زوجي باكراً.

– حسناً, سأذهب و أغير ملابسي.

في غرفتها جلست جوسلين على

السريير في استراحة قصيرة, فالطريق

الرجراجة و الجدال مع جيرفيه أحبطا

عزيمتها. لكن عليها أن تساعد

كاميليا في غسل شعرها كي يجف

قبل الليل. خلعت ملابسها و بذلت

جهداً كبيراً لتقاوم رغبتها في التمدد

على السرير والنوم؟

بعدها غسلت وجهها و ذراعيها،

وارتدت قميصاً وسروالاً نظيفين،

شعرت بالانتعاش والراحة.

لم تجد السيدة سانتون في المطبخ ولا

في غرفة الجلوس. لا بد أن تكون

إذن في غرفتها. لئلا تزعجها قررت

أن تسخن الماء بنفسها. عليها إذن
أن تسحب الماء بواسطة المضخة.
حملت دلواً كبيراً و وجدت المضخة
في الساحة. وبينما كانت تباشر في
تشغيلها, سمعت شخصاً يتقدم و هو
يصفّر, رفعت نظرها ولحت أحد
الحراس. انه الحارس الصغير الذي
عثر على نظارتها يوم حادثة الثيران.
ابتسمت له وقالت:

-صباح الخير, يا سيد.

فوجئ الرجل لرؤيتها, فتوقف حائراً,

ثم قال:

-صباح الخير, يا آنسة.

انه أصغر الحراس ولا بد أن يكون في

مثل عمرها. بعد تردد قصير, تقدم

منها و أشار إليها أن تبعد كي يضح

الماء بنفسه, قائلاً:

–الدلو ثقيل بالنسبة إليك بخاصة

عندما يمتلئ. سأحمله عنك.

أفرغ الماء في قدر معدنية موضوعة

داخل المطبخ, و وضعها على الفرن

الخطبي, ثم أشعل بعض الوقود,

فقلت له:

–شكراً جزيلاً, كنت أعتقد أن

الجميع ذهبوا اليوم بعد الظهر إلى

المدينة.

من دون أن يتجرأ في النظر إليها,

قال ببعض الانزعاج:

- ليس أنا, يا آنسة, اسمي رفاييل.

اندهشت الفتاة من خجل الشاب

الوسيم, ذي الشعر الأسود المجعد و

القامة المتوسطة والمتينة. ابتسمت له

وقالت:

- و أنا اسمي جوسلين.

- انه اسم جميل, هل أعجبتك مدينة

آلرز يا آنسة جوسلين؟

- نعم... انها مدينة جميلة حقاً.

استرخى الشاب وسألها:

- هل ستبقين هنا حتى حين ولادة

الطفل؟

- كلا, لا أستطيع ذلك. سأعود إلى

انكلترا بعد اسبوعين. الجميع هنا

يأملون أن يكون الطفل ذكراً, أليس

كذلك؟ وربما يكون أنثى جميلة.

-هنا, المولود الأول دائما صبي.

لكنه أضاف بسرعة لدى سماعه

طريقة باب في الممر:

-سأذهب الآن, لدي عمل.

لم يأت أحد. كانت الفتاة تحب أن

تتحدث مع رفايل لمدة أطول,

لتحسن لغتها الفرنسية. فحتى الآن

باصغاءها إلى الحراس يتحدثون غلى
مائدة الطعام, تذكرت تقريباً كل ما
تعلمته في المدرسة, كما تعلمت
بعض التعابير القروية المحلية.

ساعدت جوسلين, في غسل شعر
ابنة عمها و راحت بدورها تغسل
شعرها أيضاً. ثم لفته بمنشفة, و
راحت تجعد شعر كاميليا بوضع

ملاقط خاصة فيه. فقالت لها كاميليا

بغیظ:

- لا أفهم لماذا لا يجلب جيرفيه محركاً

كهربائياً. فأنا لا أستطيع استعمال

مجفف الشعر...

- المحرك الكهربائي يكلف غالياً. ربما

ليس بإمكانه أن يشتري واحداً.

- بلى... لديه المال الكثير. بإمكانه

أن يحسن أوضاع المزرعة بكاملها و

يجعلها حديثة الطراز, لو لم يكن
بخيلاً. أين اصطحبك إلى الغداء في
مقهى حقير, على ما أظن؟
- لم يكن مقهى من الطراز الأول,
لكن الطعام كان من الدرجة الأولى.
في الواقع كنا ثلاثة أشخاص. لقد
دعا فتاة تدعى سيلين دورانس.
- آه, صحيح! لقد سبق و ألتقيت
بها مرة من قبل. انها فتاة سمراء...

قصيرة... أنيقة جداً. لقد وجدتها

فتاة ناعمة و لطيفة.

بدا على كاميليا أنها لا تعرف بأن

عائلة سانتون كانت تأمل بزواج

جان-مارك و سيلين. ما كان

جيرفيه يقصد من كلامه إذن: لو كان

جان-مارك يريد سيلين زوجة له،

لأخبر كاميليا بذلك؟ الظاهر أنها في

الحقيقة رغبة العائلتين وليس

الولدين. الواضح أن سيلين لا يبدو

أنها تعاني ألام الحب الضائع.

أضافت كاميليا تقول:

—حسب ما أخبرني جان—مارك،

مزرعة آل دورانس مجهزة بكل

وسائل الراحة الحديثة، من كهرباء و

ماء جارئة، ساخنة وباردة... أي كل

ما يجعل الحياة جميلة. والد سيلين

أرسل ابنته إلى باريس لتكمل

دراستها. هو على الأقل, ليس
محافظاً, أو متعصباً و يبدو أنه انسان
حضاري.

-لكنني فهمت أنه يري ثيراناً من
نسل مختلف. و مزرعته ربما تكون
أكثر ازدهاراً من هنا.

-آل دورانس يرسلون حيواناتهم إلى
حلبة مصارعة الثيران.. أما جيرفيه,

فلا يريد إلا ثيراناً تقوم بالسباق

الحر.

-وما هو الفرق؟

-في السباق الحر، الحيوان غير مهدد

بالموت. بين قرنيه توضع زهرة حمراء،

وعلى الرجال محاولة قلعها. كان

جان-مارك يشترك في الماضي في هذا

السباق. لكنني رجوته ألا يفعل ذلك

بعد الآن، فرضخ لرجائي. كان بطلاً

محلماً لمدة سنتين متواليتين. لكنني
غير مستعدة اطلاقاً أن أرى زوجي
مشلولاً أو مصاباً بفجوة بين
أضلاعه... في الواقع، الثيران هي
الأبطال. لا بد أم جيفيه حدثك عن
ثور يدعى "الوحش" وهو أجمل ثور
في المنطقة.

هزت جوسلين رأسها سلباً، فقالت
لها كاميليا:

- حلم جيرفيه و طموحه في هذه
الحياة أن يخطف هذا الثور. شيء لا
يصدق, أليس كذلك؟
- آه, لا أعرف. المزارعون الانكليز
يحاولون أيضاً الحصول على الحيوان
الذي ينال الجائزة الأولى, أو البقرة
التي تعطي أكثر حليباً. لكل حلمه.
و أنت, حلمك كان أن تصدر مجلة
"فوغ" صورتك على غلافها.

- ما زلت محافظة على هذا العدد من

مجلة " فوغ "

فجأة تقلص فم المرأة و امتلأت

عينها دموعاً, و أضافت تقول:

- إذا استعدت وظيفتي الآن, فلا

أحد سيعرفني.

- آه, آه, بلى سيعرفونك. بعد

شهرين, ستلدين و تستعيدين

نحافتك, و تصبحين رائعة من جديد,

بل أروع ربما.

قالت كاميليا بصوت مرتجف:

-صحيح؟ هل تعتقدين ذلك؟ بعض

النساء لا يستعدن نحافتهن أبداً. آه,

لم أعد أحتمل بطني هذا! بالكاد

أتجرأ على النظر إلى نفسي في المرآة

هذه الأيام.

قالت جوسلين بحزم و قسوة:

- كاميليا! أنت الآن تقومين
بتصرفات طفولية. انك أقل سمينة من
معظم النساء. هيا, تشجعي, يا
حبيبتى. غداً, في مثل هذه الساعة,
سيكون جان-مارك قريبك و سيراك
رائعة, أنا متأكدة من ذلك, إن كنت
حاملًا أم لا.

وصل جان-مارك في اليوم التالي,
بعد وجبة الغداء. قفز من السيارة و

قبل عمته بحماس, ثم سلم علي
جيرفيه و ربت علي كتفه, والتفت
نحو جوسلين و قال:

— وهذه ابنة العم الانكليزية! أنا

سعيد بالتعرف إليك, يا آنسة.

سامحيني علي غيابي... لكنها كانت

رحلة عمل موفقة. الآن, لدي

زوجة... و عما قريب, طفل... يجب

علي أن أعمل مضاعفاً...

انحنى مبتسماً وقبل يدها و قال:

-والآن, المعذرة. أريد أن أرى

زوجتي.

عندئذ اقترح جيرفيه قائلاً:

-بما أن جان-مارك و كاميليا يرغبان

في قضاء بعض الوقت معاً, على

حدة, ما رأيك لو تأتين معي لركوب

الخيول, آنسة بيشوب؟

ذكرته قائلة:

- لكنني لم أمتط خيلا في حياتي.

أجابها بهدوء:

- في هذه الحال , سأعلمك.

ثم أضاف بتحد:

- هذا طبعاً إذا كنت لا تخافين القيام

بالتجربة.

بدا و أكنه يريد أن يضعها على

المحك. أو ربما يتوقع منها أن تجد

عدرا للرفض. فهو لا يرغب في
رفقتها كما يبدو.

بلهجة ابتهاج و حماس, أجابت

الفتاة:

- هذا لطف منك. سأخذ درساً في

ركوب الخيل بكل طيبة خاطر.

لأذهب اذن و أغير ملابسى, و

سأعود إليك بسرعة.

لم يبد مندهشاً, بل قال ببساطة:

- و أنا سأهين الحصانين.

قالت الفتاة لنفسها وهي داخلة إلى

المنزل: " آه, ما الذي جرى لي؟".

ولما عادت للقياه, كان قد وضع

السرّج على حصانه " قيصر" وعلى

حصان آخر. قال لها بلطف, شاعراً

بأنها غير مطمئنة كما يجب:

- لا تخافي, آنسة بيشوب, "أرسطو"

حصان لطيف جداً. ضعني رجلك في

هذه الركاب هنا, و تمسكي
بالقربوس, و أنا سأساعدك على
امتطاء الحصان.

نفدت الفتاة ما قال لها بنجاح,
فأحكم جيرفيه الركابين جيداً, ثم
قال:

—سأجلب شيئاً من المنزل. هل
بإمكاني أن أتركك وحدك لحظة؟

هزت الفتاة رأسها قبولاً , وتمسكت
بالقربوس , آمله ألا تصدر عن
الحصان حركة مفاجئة. عاد جيرفيه
حاملاً قبعة رمادية تشبه قبعته , لكنها
أصغر و أجد. وقال لها وهو يناولها
إياها:

—إنها تذكرك من منطقة الكامارغ,
لك , يا آنسة. آمل أن تليق بك.

أجابته متلعثمة:

- آه, شكراً.

ثم رآته يمتطي حصانه بخفة وعناية,

ابعدت يديها عن القربوس, ثم

خلعت نظارتها و اعتمرت القبعة

التي لا شك أنه اشتراها من مدينة

آلرز يوم أمس.

قرب جيرفيه حصانه من "أرسطو" و

أنحني ليري الفتاة كيف تمسك الزمام,

قائلاً:

-هل أنتِ مستعدة, أنسة بيشوب؟
هزت رأسها موافقة, ثم قالت بعفوية:
-أرجوك, أدعني جوسلين. فنحن
أقرباء...

رمقها بنظرة ساخرة, غريبة, و أجاب
قائلاً:

-حسناً, كما تريدین.
ثم ربت على ظهر أرسطو و بدأ
الحصانان سيرهما. و بسرعة, تعودت

الفتاة مشية الحصان و تدريجياً,
بدأت تشعر بالاسترخاء والاستمتاع
بالنزهة.
الحصانان يتقدمان جنباً إلى جنب, و
جيرفيه لا يراقب الفتاة كثيراً. بل
يصفر و يتأمل المنظر القاحل,
بصمت و استرخاء. بعد ربع ساعة.
ابتعدا عن الطريق باتجاه مساحة
واسعة من الأراضي المغطاة بالنباتات

البرية من فصيلة السرمقيات.
"قيصر" يتقدم و "أرسطو" يتبعه.
ولمدة لحظات قليلة, بدأت الفتاة
تفقد توازنها فوق هذه الأرض
الوعرة, لكنها تمكنت من البقاء على
ظهر الحصان, ضاغطة الركبتين و
متمسكة بشدة بالقربوس. وعلى
مقربة مستنقع صغير خفف أرسطو
سرعته بنفسه, وبينما كان يجتاز ستاراً

من القصب ليدخل الماء, رأّت
جوسلين الرجل ينظر إليها بمرح و
سخرية, فسألته:

– هل كنت تتوقع أن تراني واقعة عن

ظهر الحصان, يا سيد سانتون؟

– ولماذا لا تنادينني جيرفيه ببساطة؟

– كما تريد.

- ليس باستطاعتك أن تقعي عن
ظهر أرسطو. فأني ولد يستطيع أن
يركبه من دون مشكلة.

- أظنك بدأت تتركب الخيل مباشرة
بعد أن تعلمت المشي، أليس
كذلك؟

- حتى قبل ذلك. ولما كنت في
السابعة من العمر، سمح لي والدي
بمرافقة الحراس في أخذ الثيران

المختارة إلى السور حيث تجري
المبارزات. اليوم, تؤخذ الثيران
بواسطة الشاحنات, إلا إذا كانت
حلبة مبارزة غير بعيدة عن المرتع.
وبعد صمت قصير, أضاف يقول:
-في كل حال, لم تحصل مبارزات منذ
وقت طويل.
-لماذا؟

نظر إليها مقطب الحاجبين و قال:

-بسبب الحرب.

احمر وجهها وقالت:

-نعم, طبعاً... أنا حمقاء, المعذرة.

لانت نظرتة وقال:

-لا ضرورة للمعذرة. حينذاك لم

تكوني قد ولدت بعد. إنه التاريخ

بالنسبة إليك.

سألته بخجل:

-هل عانيتم الكثير في أيام الحرب،

في هذه المنطقة؟

-القطعان أبيدت. ولما تحررت

البلاد، لم يبق تقريباً أي حيوان على

قيد الحياة. كلها ماتت، بسبب

المرض، أو خزنت لتغذية الألمان.

حتى الثور لا يمكنه العيش إلا إذا

أعتني به.

ولما داس الحصان الأرض اليابسة من

جديد, لمحت جوسلين على بعد 50

متر تقريباً عدة حراس يجمعون قطعاً

تفرق. فتذكرت شيئاً ما و سألت

جيرفيه:

—حدثني كاميليا عن ثور يدعى "

الوحش" , لماذا هذا الثور مشهور

جداً؟

-عليك أن تطرحي هذا السؤال إلى

مارسيل روجيه! عندما كان حارساً

صغيراً ربح ألف فرانك, فقط لأنه

تمكن من لمس جبين هذا الثور.

وبعد سير عشر دقائق, لحا حصانا

يتقدم من بعيد باتجاههما, فقال

جيرفيه بلهجة متهكمة:

-سيلين!

كانت سيلين تمتطي فرساً وهي ممددة
على عنقه, شعرها يطير مع الريح.
وصلت مسرعة, وفي اللحظة
الأخيرة, أمالت الحصان وقامت
بدائرة واسعة لتصطف قرب جيرفيه,
بعد أن خفت سرعتها بشدة, حتى
انتصب الحصان, يا له من مشهد
رائع خاصة أن الحصان من دون
سرج. انقطعت أنفاس جوسلين خوفاً

و اعجاباً عندما رأت الحيوان يحرك
حافريه في الفراغ, قبل أن يرجع إلى
ساقيه, هازاً عرفه الأبيض.

قال جيرفيه بلهجة قاطعة:

—قلت لك ألا تفعلني هذا, يا

سيلين. سيأتي يوم و تسبني موت

حصانك!

أجابت الفتاة بسخرية:

—وستكون حزينا، أليس كذلك؟

أجاب بقسوة:

— سأغضب إن رأيت حصاناً جيداً

مجروحاً. ستشوهين وجهه و خاصة

فمه, بهذه الحركات, كأنك في

السيرك!

— آه, ما أفعله لا يؤلمه أبداً, بل

يفرحه.

ثم حيت الفتاة الانكليزية برأسها و

أضافت تقول:

-هل كنتما في الطريق لزيارتي؟

-كلا. مزرعتك بعيدة و جوسلين

تكرب الخيل للمرة الأولى. سوف

نستريح تحت هذه الأشجار, قليلاً,

قبل العودة.

أشار إلى جل صغير من أشجار

الصنوبر. فسبقتهما سيلين إليه, ثم

انتظرت أن يهبط جيرفيه من حصانه

لتمد له ذراعيها كي يساعدها على

النزل. وضعها أرضاً, تاركاً يده على

كتفيها, فقالت له بلهجة مداعبة:

- لا تغضب مني. إذا كان ما أفعله

حقاً يقلقك, فلن أكرره أبداً.

هزها قليلاً وهو يمسكها بخصرها, ثم

أجاب:

- حسناً, سأسمحك هذه المرة.

ابتعد ليساعد جولسين, التي رأت في

تلك اللحظة أن الفتاة الفرنسية

تأخذ تعبيراً غريباً, كأنها تشعر
بالاستياء. لكن, ربما أخطأت, لأنه,
ما إن جلسوا في الظل, حتى
أخرجت سيلين مرآة صغيرة و سألت
جيرفيه أن يمسكها, بينما راحت هي
تسرح شعرها, راحة قربه, ثم نظرت
إلى جوسلين وقالت:
-هكذا, اشتريت قبعة حراس أيضاً,
يا آنسة.

قال جيرفيه في الحال:

-و أنت, بحاجة أيضاً إلى قبعة

كهذه, يا صغيرتي.

ضحكت سيلين و أجابت:

-لا تنس... قدم أبناء الريح يسيل

في عروقي.

شرح جيرفيه للفتاة بمزاح:

-تحب سيلين التصديق بأنها تنحدر

من السلالة البوهيمية.

فقلت سيلين بإصرار:

- كل هذا حقيقي. في كل سنة, يأتي

الفجر إلى منطقة الكامارغ في عيد

السيدة سارة. إنه حدث كبير, تعزف

الموسيقى الصاخبة, و الناس

يرقصون بسعادة و فرح. فمنذ

سنوات عديدة كان والد جدي ما

يزال شاباً وسيماً, التقى خلال هذا

العيد بامرأة غجرية رائعة الجمال .

واكن الحب من أول نظرة .

ابتسمت جوسلين وقالت :

-يا لهذه القصة الرومانسية الناعمة .

تدخل جيرفيه في الحديث مقاطعاً :

-لا , لأنك لا تعرفين بقية القصة .

الفجر شعب يعارض الزواج المختلط

و بول دورانس كان رجلاً محظوظاً

لأنه لم يتلق طعنة سكين في قلبه .

لكنه لم يحتفظ بالفتاة طويلاً. انجبت

له ولداً, و بعد سنة, عندما عاد

الغجر, هجرت زوجها و ولدها.

فالغجر لا يتكيفون مع حياتنا

الحضرية الثابتة, حتى في منطقة

الكامارغ.

تنهدت سيلين و قالت:

—نعم, كانت نهايةً محزنة. رفضت

قبيلتها أن تأخذها من جديد. فرمت

بنفسها في البحر وغرقت المسكينة.

و تأسف والد جدي عليها كثيراً.

ذكرها جيرفيه قائلاً:

- لكنه مع ذلك تزوج مرة أخرى و

أنجب ستة أولاد... ربما وقع في

الحب من أول نظرة مرة ثانية!

غضبت الفتاة الفرنسية و قالت:

- هذا ليس مزاحاً... إنما مأساة.
كيف باستطاعتك فهم تلك الأمور,
و أنت لم تعرف بعد معنى الحب!
تناولت من يده المرأة, ثم نهضت و
ادارت له ظهرها. لكن جيرفيه و
جوسلين لاحظا الدموع في عينيها.
كان الجو متوتراً. و أدركت جوسلين
أن جيرفيه ندم على ما حدث. لو
كان وحده مع سيلين لربما اعتذر

منها و حاول مؤانستها. لكنه أعلن

ببساطة:

—حان وقت العودة.

صفت سيلين لحصانها, فاقترب

منها. امتطته بسرعة و تبين أن

الانفعال غادر وجهها. سألتها

جوسلين:

—هل تمتطين حصانك دائماً من دون

سرج؟

- كلا, ليس دائماً. لا أهمية في

ذلك, اليوم عليّ أن أجتاز

المستنقعات و رفع ساقي... هذا كل

ما في الأمر. وهذا مستحيل وعلى

الحصان سرج.

جاء دور جوسلين أن تمتطي حصانها.

فالمحاولة الأولى كانت فاشلة, إذ

كادت أن تقع إلى الوراء و آذت

ركبتها. لكنها تجاهلت الأمر و

حاولت من جديد, فهبطت على

ظهر الحصان بكل ثقلها, فتألم

الحصان وبدأ يخور. فقالت له:

-المعدرة, يا أرسطو.

غريزياً, مدت يدها تداعب عنق

الفرس, فاشتبكت نظراتها بنظرات

جيرفيه فأحمر وجهها و توقعت منه

أن يهزأ منها, لكنه أدار لها ظهره و

امتطى حصانه برشاقة. لما ابتعدت

سيلين, قالت جوسلين:

-إنها تركب الخيل بصورة رائعة,

أليس كذلك؟

-إنها جيدة في كل شيء.

وصلا إلى المزرعة بصمت. شكرته

الفتاة باقتضاب و دخلت إلى المنزل.

فتح جان-مارك باب غرفته بينما

كانت جوسلين تمر أمامه, فدعاها

إلى الدخول. كانت ابنة عمها جالسة
في سريرها, ترتدي قميص نوم جديد
من قماش الكرب الصيني,

المشمشي اللون. فابتسمت وقالت:

-أليس هذا القميص رائعاً بالفعل, يا

جوسلين؟ اشتراه لي حان-مارك من

ليون... وهذا أيضاً.

اشارت إلى أقراط توركوازية وشال

حريري. فابتسم جان-مارك وقال:

- وهذه هدية صغيرة لك.

فتحت جوسلين العلبة لترى شالاً

حريراً آخر. فقالت مندهشة:

- آه, هذا لطف منك... شكراً.

وخلال نصف ساعة فهمت جوسلين

ما الذي جذب كاميليا إلى جان-

مارك. و تساءلت كيف يمكن

لشقيقين أن يكونا بهذا الاختلاف

الكبير. جان-مارك, شاب وسيم,

لكنه ليس فخوراً بمنظره الجميل.
بالعكس فهو مرح و دافئ, يستلطفه
الآخرون لمجرد الجلوس معه, لأن
رفقته ممتعة.

كان جالساً على السرير, ذراعه
حول كتفي كاميليا, يتأملها بمزيج من
الفخر و الحنان, إلى درجة أن
جوسلين شعرت بانفعال كبير تجاهه.
وفهمت في تلك اللحظة بأنه من

المستحيل أن تفكر, مثل جيرفيه,

بأن هذا الزواج محكوم عليه

بالإخفاق.

في أواخر الأسبوع الثاني من زيارتها،

كانت جوسلين جالسة على مقعد في

الساحة عندما وصل جان-مارك من

المدينة في حوالي الرابعة. قالت:

-صباح الخير... عدت باكراً اليوم.

كاميليا ما تزال نائمة.

-لم تتم جيداً, هذه الليلة, المسكينة.
دخل إلى المنزل و عاد حاملاً زجاجة
عصير و كأسين. مالأهما و أعطى
واحداً لجوسلين ثم أشعل سيكارة, و
اتكأ على الجدار وقال:

-أريد أن أتحدث معك, على حدة.
الوضع شديد الدقة. أنت ترين ما
يجري بين كاميليا و عائلتها. أريد أن
أعرف رأيك بالأمر.

-بصراحة و صدق, أرى أنه كان من
الخطأ جلبها إلى هنا.

-لم تكن هذه نيتي. لكن ماذا
بوسعي أن أفعل غير ذلك. كنت
أفضل البقاء في آلرز, لكن كاميليا
رفضت الخروج من الشقة, بحجة أنها
أصبحت بشعة و الناس يحدقون فيها
بغرابة... و عندما شرحت لها بأن
تصرفها هذا لا مبرر له, و إن كل

النساء يجتزن هذه المرحلة ليصبحن
أمهات, أجهشت بالبكاء و كادت
أن تصاب بانحيار عصبي. أمضت
شهرأ بكامله وحدها, لا تتحدث مع
أحد. لم يكن ذلك صحياً بالنسبة إلى
حالتها ولم يكن لدي خيار.
-لكنها أخبرتني بأنها سقطت و
جئت بها إلى هنا بناء على وصية

الطبيب بضرورة البقاء في السرير

وعدم البقاء وحيدة.

-صحيح أنها وقعت, لكن هذا لم

يشكل أي خطر على صحتها أو

صحة الجنين, بقيت سجينه غرفتها

بملاء إرادتها, بينما كان الطبيب

يفضل أن تعيش حياة نشيطة و

حيوية أكثر.

أجابت الفتاة بحزن لأن ابنة عمها

خدعتها وقالت:

-لقد فهمت الآن.

-ربما كانت عائلتي على حق, ما كان

يجب أن أتزوجها. إنها الآن تعيسة

وليس باستطاعتي أن أقدم لها ما تحلم

به في هذه الحياة؛ بيت كبير, سيارة

فاخرة... خدم... وكل ما اعتادت

عليه.

بلطف اجابت الفتاة:

- أنت تحبها, وهذا أهم ما في الأمر.

بلطف اجابت الفتاة:

- أنت تحبها, وهذا أهم ما في الأمر.

- صحيح كنت أفكر مثلك, لكن

الآن... لم أعد أعرف شيئاً. لماذا

عليها أن تضحي من أجلي و أنا لا

أستطيع أن أقدم لها الشيء الكثير,

لن أصبح أبداً رجلاً ثرياً, كما

تحلم...

-لو كانت كاميليا تريد الزواج من
رجل ثري, لتمكنت من ذلك. أنت

تقلل من قيمتك, يا جان-مارك.

معظم النساء لا يخفن من القيام

ببعض التضحيات في سبيل الحب.

أنا أكيدة بأن الوضع سيتغير بعد

ولادة الطفل.

أجاب الرجل ببعض الشك:
-أمل ذلك. لكن عمتي وأخي
سيتطلبان وقتاً طويلاً كي يقتنعا
بزواجنا, لأنهما ما زالا يعتبراني غير
مسئول. غير أنني أصبحت الآن
رجلاً, وعليّ أن أعيش حياتي, كما
أريد.

-لو لم تتزوج كاميليا, لأصبحت
حارس ماشية. هل هذا صحيح؟

هز كتفيه وقال:

–ربما, من يدري؟ أنا لا أحب أن
أعيش في شمال البلاد ولا في باريس
مثلاً. لكن منطقة الكامارغ ليست
سوى جزء صغير من وسط فرنسا. و
العيش هنا أقل أهمية بالنسبة إلي,
مقارنة بأخي.

–ومرسيليا؟

–أحب هذه المدينة. هل تعتقد
بأن كاميليا ستكون سعيدة إن عشنا
هناك؟

–نعم, أظن ذلك. مرسيليا مدينة
أنيقة ومرحة, على ما يبدو. وحسب
رأبي, لن تتمكن كاميليا من التكيف
مع الحياة هنا. حتى مدينة آلرز تعتبر
قروية جداً بالنسبة إليها.

-إذن, تنصحيني بالاستقرار في

مرسيليا, بعد ولادة الطفل؟

أجابت جوسلين بحذر:

-القرار يعود إليك أنت. لا فائدة

أن تكون كاميليا سعيدة و أنت غير

سعيد. هل بإمكانك العمل في مدينة

آلرز و العيش في مرسيليا؟ المسافة

بين المدينتين ليست بعيدة في القطار

كما يقال.

- كلا, معك حق. ربما أذهب إلى
مرسيليا في الغد للبحث عن شقة.
لكن هذا سيتطلب وقتاً طويلاً.
- لا تتسرع, يا جان-مارك, كاميليا
بحاجة إلى أسابيع بعد الولادة كي
تستعيد كامل حيويتها ونشاطها. إذا
اتخذت قراراً بسرعة, ستبلى
عائلتك. لو كنت مكانك, لما

تحدثت عن شيء قبل تفكير طويل و
ناضج.

-نعم, معك حق. سأعلن هذا الأمر

عندما يصبح واقعاً. شكراً

لمساعدتك, يا جوسلين.

بدأت الفتاة تندم على ثروتها,

فقالت:

-لست في وضع لأعطي رأيي...

-بالعكس... ليس لكاميليا أحد

غيرك. فهي تشعر بالاستقرار معك.

لو كانت والدي هنا...

هز كتفيه وتابع يقول:

-عمتي امرأة شجاعة, لكنها لا تفهم

معنى الشباب اليوم.

-ماذا حدث لوالديك, يا جان-

مارك؟

- كان والدي في المقاومة وقتل على
يد الألمان. و والدي ماتت أيضاً في
الحرب. مرضت ولم تكن ترغب في
الحياة, من دون والدي. أنا لا
أتذكرهما أبداً.

- إذن, ربيت و ترعرعت على يد
عمتك, بينما راح عمك يهتم
بالمزرعة, أليس كذلك؟

- نعم... وجيرفيه كان تعيساً للغاية.

لم يكن عمي يحبه و كانا يتشاجران

باستمرار. لهذا السبب, غادرنا

جيرفيه لمدة ثلاث سنوات.

-ولماذا كانا يتشاجران؟

- كان عمي يتعاطى الخمر. وذات

يوم, فقد وعيه و ضرب أخي على

وجهه... ومن ثم, أصبحت الحياة

غير ممكنة لجيرفيه, هنا, تحت سقف

واحد مع عمي و...

جاء صوت جاف يقول:

-تتكلم كثيراً, يا أخي.

انتفض جان-مارك و الفتاة و التفتا

معاً نحو الصوت, ورأيا جيرفيه على

عتبة باب المطبخ. نهض جان-مارك

مستاء وقال:

- سأذهب لأرى إذا كانت كاميليا

استيقظت من نومها. آه, لقد

نسيت... هاتان رسالتان من انكلترا,

لك, يا جوسلين.

- آه, شكراً... حان الوقت لأستلم

أخباراً من عائلتي.

وضعت جوسلين الرسالتين في حقيبة

يدها, فتقدم جيرفيه منها و جلس

قربها, وقال:

-أعدري أخي لأنه أزعجك بأخبار
العائلة. فهذا لا أهمية له, من دون
شك.

قالت الفتاة بعنف غير متوقع:
-على الأقل, أخوك يحدثني
كإنسانة... ليس مثلك, تعتبرني آتية
من كوكب آخر.

-في نظرك, أنا أعاملك هكذا؟
-تستهجنني, كما تفعل مع كاميليا.

كتف يديه و أتكأ على الجدار

وقال:

–وماذا كنت تتوقعين؟ قصة حب

بيننا؟

احمر وجه الفتاة و صرخت:

–طبعاً لا!

ارتسمت ابتسامة غليظة على شفتي

الرجل الذي قال:

- لا تنزعجي. عندما جئت إلى
فرنسا, لا شك أنك نت تأملين أن
تعيشي مغامرة عاطفية, وهذا أمر
طبيعي جداً. لكنك لاحظت أن لا
شيء يهكم هنا, فخاب ظنك و
أصبحت تملين.

أدارت جوسلين وجهها, لا تعرف
ماذا تفعل تجاه هذا الأسلوب

المهجومى الجديد. وقبل أن يتسنى لها

الوقت للرد عليه, تابع يقول:

—ماذا بك هنا؟ هل ارتطمت

بشيء؟

أشار إلى ركبتيها المحتقنة من الاحتكاك

بسرج الحصان. غطت الفتاة ركبتيها

بطرف فستانها و حاولت القول:

—هذا لا شيء يذكر...

انحنى نحوها وقال:

-دعيني أرى...-

-لقد قلت لك... إنه لا شيء-

يذكر...

-يا إلهي! ليست قلة تهذيب أن

تظهري ركبتك. لقد سبق و

شاهدتها.

عضت الفتاة على شفتها و رفعت

تنورها لترية الزرقة على ركبتها

وتقول:

-إنها لا تؤمني أبداً. ارتطمت ركبتني

بالسراج, يوم الأحد.

-ولماذا لم تخبريني بذلك, كنت

أعطيتك مرهماً.

-ليس هذا ضرورياً.

ثم ملح كدمة صغيرة, على ذراعها,

فوضع اصبعه عليها وقال:

-وهذه الكدمة... من أين جاءت؟

-من حادث قديم, عندما كنت
صغيرة... لكنني أكيدة بأن ذلك لا
يهمك.

نهضت الفتاة بسرعة و قالت بصوت
مسموم:

-أعذرني, سأدخل الآن إلى المنزل.
ولشدة سرعتها, أوقعت قلمها,
فانحنى جيرفيه يلتقطه, قالت له, قبل
أن تدير له ظهرها:

- آه, شكراً.

-جوسلين...

توقفت على مضض ونظرت إليه من
فوق كتفها وقالت:

-نعم؟

-أنت مخطئة إذا كنت تفكرين بأنني
لا أراك جميلة. طبعاً, أنا أعني ذلك,
ولو كنت أكبر سناً و أكثر خبرة...
لكنك صغيرة و غير مجربة و تريدين

إظهار العكس. من الأفضل ألا
تعقدي هذا الوضع الصعب, أليس
كذلك؟

و بإشارة صغيرة من رأسه, ابتعد
باتجاه الاسطبل. فبقيت جوسلين
مكانها مندهشة, مصدومة, كأنها
تلقت دوشاً بارداً, لم يسعها تصديق
ما سمعته. شعرت بالغضب يحتلها,
فأسرعت تقفل باب غرفتها وتقول

لنفسها: " يا لرباطة جأشه... يا لهذه

العجرفة التي لا تحمل, و التي لا

تغفر! يا للوقاحة... آه, يا للعجب

و التفاخر!"

لم يظهر جيرفيه على مائدة الطعام,

وأخبرت العمدة جان-مارك بأنه

ذهب إلى مزرعة آل دورانس.

فشعرت جوسلين بالارتياح. ولم

تتذكر الرسالتين إلا عندما آوت إلى

فراشها. كانت واحدة من والدها و

الثانية من طوم كاليه. و بتأسف

أدركت أنها لم تفكر فيه منذ وصولها

إلى فرنسا. كانت رسالته مملّة،

يتحدث فيها عن الطقس و مشاكل

محرك سيارته. و يقول بأن الجميع

مشتاقون إليها.

لكن مهما يكن، أشعلت هذه

الرسالة فيها الحنين إلى الوطن.

وقالت لنفسها: "عزيزي طوم. يا لك

من شاب لطيف و أكيد من نفسه.

معك, لا توجد أي مشكلة".

وفي سريرها, ظلت تفكر بطوم و

بالمستقبل وتقول:

"ليس لدي هدف في الحياة سوى

الزواج, وهذه هي مشكلتي. فأنا

منطوية على مغالطة تاريخية. الشيء

الوحيد الذي أرغب فيه, هو أن

أستمر في إدارة المنزل. و إذا
توظفت, فسيكون ذلك لفترة مؤقتة,
بانتظار أن أصبح سيدة فلان. لماذا
الانتظار؟ لماذا اضاءة الوقت؟ لماذا
لا أصبح زوجة طوم كاليه؟"
وردت لنفسها: حسناً, لست واقعة
في حبه حتى الجنون. لكن ما هو
الحب؟ هل يجب أن يكون الحب
دائماً من أول نظرة؟ أليس الاتفاق

أهم من الحب؟ لننظر إلى كاميليا و
جان-مارك : إنهما يجبان بعضهما,
لكن كم سيدوم هذا قبل أن يعالجا
الاختلافات التي تفرقهما؟ بينما طوم
وهي يتقاسمان الأشياء نفسها, ولا
شك أنهما يناسبان بعضهما تماماً...
وفي الأسام التالية, نادراً ما التقت
بجيرفيه أو رآته. و أشرفت عطلتها

على النهاية, لكن كاميليا كانت تصر
عليها أن تمدها.

—حتى ولادة الطفل... أرجوك, يا
جوسلين.

كما أصر عليها جان—مارك قائلاً:
—بعد اسبوعين, يقع عيد السيدة
سارة. ولا يجب أن تفوتك هذه
المناسبة النادرة.

- كلا سأذهب في الموعد المتفق

عليه.

قالت كاميليا ناحبة:

- لكنني بحاجة إليك. لو كنت

مكانك لما ذهبت. هذا أقل ما أطلبه

منك.

- كاميليا, لا تتحمسي كثيراً,

فحماسك لن يجدي شيئاً. لن تتم

ولادتك قبل شهر، و أنا لا يمكنني
أن أبقى طويلاً.

— أنت فتاة شريرة. لا أحد يجبرك
على الذهاب، و لا تريد البقاء
هنا بكل بساطة. إذا كان هذا المكان
لا يعجبك، فكيف بالأحرى أنا؟
... كلما جرى مثل هذا الحديث،
تمتلئ عينا كاميليا بالدموع السخية،
و يسرع جان—مارك لمؤاساتها. لكن

جوسلين ما زالت مصرة على عدم
الاستسلام لهذا النوع من التهديد
التي تبرع فيه ابنة عمها. لم تعد
تشفق عليها خصوصاً منذ عرفت
بأنها تمضي وقتها في السرير, من
دون سبب صحي, و تطلب من
الآخرين الاهتمام بها. عبست كاميليا
ولم تعد تحدث جوسلين ليوم بأكمله.
فقال لها هذه الأخيرة:

- اسمعي, يا كاميليا, حان لك أن
تهزي نفسك. على الأقل كوني لطيفة
مع زوجك, الذي يشغل باله عليك
باستمرار.

- على الأقل, ليس جان-مارك
مثلك.

- بالي مشغول عليكما معاً.
بصراحة, يا كاميليا, انك لا تقدمين
شيئاً من نفسك.

-وماذا تريدني أن أفعل؟

-في البداية تناولي طعامك مع بقية

أفراد العائلة.

-ماذا؟ مع كل هؤلاء الرجال؟

-لا تكوني حمقاء. إن تصرفاتهم

لطيفة ومحبة. وكلما اصغيت إلى

حديثهم, تتعلمين اللغة الفرنسية

بسهولة, حان لك أن تتقني لغة

زوجك.

-إذا كنت تقفين إلى جانبهم, فمن

الأفضل عليك أن ترحلي من هنا

ابتداءً من نهار الغد.

كانت جوسلين تحاول جهداً أن

ترشدها, لكن من دون جدوى,

فكاميليا امرأة عنيدة جداً. تبكي من

جديد وتضع كل اللوم على ابنة

عمها.

لو كان الاتصال الهاتفي ممكناً،
لاتصلت جوسلين بوالدها تطلب منه
نصيحة. ربما يقول لها أن تبقى.
لكنها تذكرت نصيحة الطبيب يوم
مغادرتها انكلترا حين قال لها: " لا
تقفي دائما إلى جانب كاميليا، ولا
تقفزي إلى الاستنتاجات بسرعة. ربما
تكون ابنة عمك طائشة لكنها

تكبرك بثلاث سنوات وباستطاعتها
أن تدافع عن نفسها وحدها...".
بعد ظهر اليوم التالي, أي قبل يومين
من موعد سفرها, كانت جوسلين
تنظف صندلها في غرفتها عندما
سمعت صراخاً جعلها تركض إلى غرفة
كاميليا, لكن ابنة عمتها كانت تغط
في نوم عميق.

أغلقت الباب بهدوء, وسمعت نحيباً
آتياً من طرف الممر. فأسرعت إلى
المطبخ مذعورة ورأت السيدة سانتون
ممددة على الأرض. فاعتقدتها ميتة و
انصدمت. الرجال كلهم في العمل,
وليس في المنزل غيرها.
ركعت قرب العجوز و لمست يدها,
فسمعت نبضها. وبعد ثوان معدودة,
فتحت العمة عينيها ناحية.

عندما عاد جيرفيه إلى المزرعة, بعد

مرور ساعة على الحادث, اسرعت

جوسلين إلى الخارج صارخة:

-شكراً, يا إلهي, أنت هنا. جرى

حادث و يجب استدعاء الطبيب.

قفز عن حصانه وقال:

-ماذا جرى لكاميليا؟

-كلا, كلا... إنها عمته, وقعت في

المطبخ. التوى كاحلها وارتطم

رأسها. أخاف أن تكون مصابة
بارتجاج في الدماغ, فقد ظلت فاقدة
الوعي بضعة دقائق.

- أين هي؟

- في غرفتها, في السرير.

- هل حملتها من المطبخ إلى غرفتها؟

- كلا, حاولت ذلك, لكنها كانت

ثقيلة. فاتكأت عليّ, لم أتمكن من

تركها ممددة على الأرض. لو كانت

مصابة بكسر, لما حركتها.

لما رأت العجوز ابن أخيها, حاولت

الجلوس وشرح الحادث, فقال لها

جيرفيه:

-على مهل... على مهل.

كانت جوسلين قد وضعت وسادة

تحت الكاحل المتورم وكمادات باردة

عليه. فقالت:

- يجب تصوير القدم على الأشعة,
للتأكد بأنها حقاً ليست مكسورة.
لم يعلق جيرفيه على ما قالتها, لكنه
تفحص مكان الرضة في الرأس. وبعد
أن طمأن عمته, أسار للفتاة أن تخرج
و تتبعه. في الممر, قال لها:
- لا تقلقي, فالأمر غير خطير.
- هل يتطلب استدعاء الطبيب وقتاً
طويلاً؟

- ليس هذا ضرورياً. عمتي تتمتع

ببنية جيدة. ليست بحاجة سوى

للبقاء في السرير بضعة أيام.

- لكنها تلقت ضربة على رأسها, ربما

تكون خطيرة...

- أنا خير بذلك.

- كل أصحاب المشاية على معرفة

عميقة بالأمر الطبية, أحياناً, لا

يمكننا انتظار الطبيب في بعض

الحوادث. صدقيني, فلا خطر على

عمتي.

تبعته حتى وصلا إلى المطبخ, ثم

قالت:

—حسناً. إنها مسئوليتك. لكن لا

شك أنها بحاجة إلى أسبوع راحة,

على الأقل. من سيهتم بالمنزل

مكاتها؟ كاميليا لا تستطيع ذلك,

طبعاً.

أغلق الباب قبل أن يتكئ عليه,

مكتف اليدين, وقال ببرود:

- كنت أتوقع منك أن تبرعي لنا

بخدماتك, و تكوني أنت من يحمل

مكان عمتي.

- هل نسيت بأني سأسافر بعد غد؟

- لكن بإمكانك أن تؤجلي موعد

سفرك, في مثل هذه الحالة الطارئة.

- كلا... كلا...

سألها بلهجة ساخرة وببريق تحد في

عينيه:

-هل تخافي أن تكوني غير قادرة على

تحمل مثل هذه المسؤولية؟

-ليس هذا هو الأمر. لا شك بأن

نساء الحراس سيقدمن مساعدتهن

للسيد...

-لم تصدقي بأنني كنت أتكلم بجدية,

أليس كذلك؟ لا أريد أن أجرح

شعورك, لكن...

هز كتفيه, فغضبت الفتاة وقالت:

-تريد أن تقول بأنني لا أستطيع

تحمل هذه المسؤولية, أليس كذلك؟

-لماذا؟ هل أنت قادرة على ذلك؟

هيا, تعقلي... و اعترفي لمرة واحدة

بأنني على حق. كنت أنا كدك, يا

صغيرتي...

— أنت تقلل من شأني, يا سيد. فأنا

بإمكاني أن أدير هذا المنزل, و

سأبرهن لك ذلك و ستكتشف

بأنك كنت مخطئاً.

بعد صمت, ابتسم وقال:

—حسناً... ما دمت تصرين, سنرى.

وغادر المكان. فهمت حينئذ بأنها
وقعت في الفخ. لقد تحداها جيرفيه
و نبح. و إذا غيرت رأيها الآن,
ستدفع غالياً ثمن كلماتها المتهورة.
ذلك لأنها أدركت في هذه اللحظة
أنها لا تستطيع إدارة هذا المنزل
وحدها: ثلاث وجبات كل يوم,
لذينة حراس جائعين... تلال من
الصحون و الأواني للجلي, ضخ

الماء وتسخينها في فرن قديم يشعل
على الخطب... آه لا, هذا أمر غير

وارد!

نهاية الفصل الثالث

4- استقرت في مهماتها الجديدة

مخفية ما استطاعت ملامح تعبها.

واكتشفت برعب أن شخصاً ما

تقصد تشويه سمعتها كطاهية جيدة,

وبرعب أكبر أنها واقعة في حب

جيرفيه!

دخلت جوسلين إلى غرفة ابنة عمها

و أخبرتها في الحال قائلة:

-غيرت رأيي, يا كاميليا. سأبقى هنا

مدة أطول.

-آه, يا جوسلين, هذا خبر مفرح!

أنت طيبة... كنت أعرف بأنك

ستقبلين أخيراً.

-لم تفهمي ما جرى. لقد أصاب

السيدة سانتون حادث.

جلست الفتاة على حافة السرير

لتشرح لكاميليا ما جرى للعممة.

فقالت المرأة الحامل بعد سماع

القصة:

-حسناً. سيرسل جان-مارك في الغد

برقية إلى عمي جون و يخبره فيها

بأنك أجلت موعد سفرك, ولا

تعرفين بعد متى ستعودين.

شعرت جوسلين برغبة ملحة أن تهنز

هذه المرأة الأنانية بعنف, لكنها

اكتفت بالقول في لهجة جافة:

–بقائي هنا ليس سهلاً عليّ. هل

تتخيلين الوضع؟

- هذا جنون وحمق... ستدبرين
أمرك بروعة. أنت موهوبة جداً في
القيام بالأعمال المنزلية.

تثاءبت المرأة و تمطت, ثم أضافت
تقول:

- أخيراً, سأكل من يدك الطعام
اللذيذ, الانكليزي, بدلاً من هذه
المأكولات المليئة بالزيت و الثوم.
هل تعتقدين بأننا سنتمكن من أكل

لحم البقر هنا بدلاً من الضأن كل

يوم كل يوم...

كبت الفتاة حنقها, وقالت بحزم:

-الآن اسمعيني, يا كاميليا. لن أتمكن

من القيام بهذا الدور المفروض عليّ

إلا بشرط واحد, وهو أن تساعديني.

الظاهر أنك لا تعرفين مقدار العمل

الذي تقوم به العمة كل يوم. فإذا لم

تعديني بالتعاون, سأضطر أن أقول

لجيرفيه بأني لا أستطيع إدارة هذا
المنزل وحدي. في كل حال, لا أظنه
يعتقد بأني قادرة على ذلك. كما أنا
لست أكيدة أيضاً من امكانياتي في
تحمل هذه المسؤولية الكبيرة. لكنني
سأحاول . . أريدك فقط أن
تعاونيني قليلاً. و إلا سأسافر في
الوقت المحدد, و أنا جدية بما أقول.

-ماذا تقصدين؟ أنا ليس بمقدرتي أن

أنظف هذا المكان.

-كلا, طبعاً. إذا كنت سأطبخ

للحراس و أنظف البيت و أهتم

بالعمة, فلن أستطيع أن أحضر

صينية طعامك و أجلبها لك إلى

غرفتك. عليك إذا أن تتناولي الطعام

معنا, من الآن فصاعداً.

- كلا. لا أستطيع ذلك... ليس من

العدل أن تطلبي ذلك مني.

أجابت الفتاة بهدوء:

-حسناً, في هذه الحال, لن أحل

مكان العمه المريضة. والآن,

سأذهب و أطمئن على حاله, ثم

أقول لجيرفيه أن يتدبر غيري.

خرجت الفتاة بسرعة غير تاركة

لكاميليا أي مجال لاستعمال لغة

الدموع المعروفة عنها. فوجدت
العمة تحاول خلع ملابسها و حدها,
ولما أرادت جوسلين مساعدتها,
رفضت العجوز بعناد, و أحمرت
خجلاً. لكن جوسلين أصرت عليها
بتهديب. ولما وضعت العجوز أخيراً
في سريرها, ذهبت الفتاة إلى غرفة
الجلوس لتعد مائدة الطعام. فالعشاء
ليس مشكلة, لأن الحراس يأكلون

عادة الخبز و السلطة و الجبنة و
اللحوم الباردة. بينما الغداء يتطلب
وقتاً طويلاً و جهداً كبيراً.
كانت في المطبخ تطحن البن عندما
دخلت كاميليا. كانت ترتدي فستاناً
كتانياً أحمر, وتنتعل صندلاً ذهبياً
يتناسق مع أساورها. قالت بصوت
الضحية:

—ها أنا ارتديت ملابسي.

حضنتها جوسلين بين ذراعيها

وهمست:

-م-م-م... رائحتك ذكية. شكراً,

يا كاميليا. أؤكد لك بأن الأمر

سيكون أقل صعوبة مما تعتقد. هل

تريدين فنجان قهوة؟

-نعم, لكن ليس هنا. فالجو خانق.

خرجت من الغرفة وهي تقول:

- لا أعرف ماذا ستكون ردة فعل

جان- مارك عندما يعلم بأنك

أرغممتني على مغادرة الفراش.

- سأجلب القهوة إلى غرفتك.

وصل جان- مارك بعد حوالي نصف

ساعة. سلم على عمته وعلى زوجته,

ثم جاء إلى المطبخ ليتحدث مع

جوسلين:

-جوسلين, هل تعتقدين بأنه من
الحكمة إرغام كاميليا على تناول
الطعام هنا؟ أنت لا تصرين على
رؤيتها مرتبكة و متوترة, أليس
كذلك؟ كما تعرفين أنها امرأة شديدة
الحساسية!

-الأمر يتعلق بك. لكن بنظري أنا,
خروجها من السرير سيفيدها كثيراً.
حك الرجل ذقنه متردداً, ثم قال:

-ربما تكونين على حق, لا أدري.

دخل جيرفيه, صافح أخاه و رمى

قفاذتيه و قبعته على الكرسي, ثم

قال:

-الرجال مستعدون للدخول. هل

تريدين أية مساعدة؟

-كل شيء جاهز, شكراً. ربما

تفضل الاهتمام بالمشروب؟

-نعم, طبعاً.

خرج الشقيقان من المطبخ. وضعت
جوسلين بيضتين في المقلاة وسخت
بعض الحليب, ثم أخذت صينية
العشاء إلى العمة, و فوجئت بجيرفيه
هناك, قطع الرجل حديثه و نهض.
فاقتربت الفتاة من سرير العمة
وقالت:

-آمل أن يعجبك الطعام, يا سيدتي.

إذا كنت تفضلين شيئاً آخر,

سأحضره لك بسرور.

شكرها العمة بلطف, على غير

عادتها, و استقبلت الصينية بفرح.

قالت جوسلين لجيرفيه:

-ستشعر السيدة براحة أكثر إذا

كان باستطاعتك أن تضع إطاراتاً على

حافة السرير, يمنع ثقل الأغطية عن
قدمها المصابة.

—حسناً, سأهتم بالأمر بعد العشاء.
نظرت إليه الفتاة مباشرة في عينيه

وقالت:

—آه, هناك شيء آخر. لقد نجحت
في اقناع كاميليا أن تتناول لعشاء
معنا, في المساء. وستكون تلك تجربة

بالنسبة إليها. أتمنى أن تجعل الجو

هادئاً لها.

–طبعاً.

–شكراً.

توجهت الفتاة نحو الباب, فتبعها,

فتح لها الباب, ثم قال بمرح:

–ستحدث تغييرات جذرية في نظام

البيت, على ما أظن.

-ربما. هل أخبرت العمّة بأني

سأتوكل بإدارة المنزل مكانها؟

-ليس بعد. سأخبرها بالأمر غداً

صباحاً... إذا لم تغيري رأيك.

وخرج من الغرفة قبل أن تتمكن من

الرد عليه.

كان الحراس على مائدة الطعام

عندما قدم جان-مارك و زوجته إلى

الجميع. فنهض الحراس وحيوا المرأة

بصوت واحد " مساء الخير يا سيدة
سانتون". ثم جلسوا لمتابعة حديثهم.
طبعاً, وجود المرأة, النارية الشعر,
التي حبست نفسها طوال هذا
الوقت في غرفتها, يثير فيهم
الاهتمام, لكن فضولهم ظل مكبوتاً,
وتصرفهم مهذباً.

جلست كاميليا على طرف الطاولة,
يحيط بها زوجها و أخوه, بينما

جلست جوسلين قرب جان-مارك
الذي بدأ يتحدث بتفصيل عن نهاره,
في مدينة آلرز. ثم طلب من الفتاة أن
تخبرهم مفصلاً عن حادثة العمه. ران

صمت ثقيل بعدما انتهت من

الحديث. لكن جيرفيه قطعه, إذ

التفت نحو كاميليا وراح يحدثها

بلطف و محبة. استرخت المرأة بسرعة

و ابتسمت وهي تتكلم معه, كان لا
خلاف بينهما.

بعد العشاء, رفضت كاميليا الذهاب
مباشرة إلى غرفتها و أرادت الجلوس
في الساحة مع زوجها. وذهب
جيرفيه ليهتم باطار سرير العمة,
بينما جلت جوسلين, حاملة, تحاول
طرد الأفكار المقلقة من رأسها. ثم

نَهَضت وِبَاشَرَت بِإِفْرَاحِ الصَّحْوَانِ عَن

المائدة.

– هَلْ بِإِمْكَانِي مَسَاعِدَتِكَ يَا آنِسَةَ

جوسلين؟

انْتَفَضتِ الْفَتَاةُ وَ قَالَتْ بِاسْتِغْرَابٍ:

– آه... رِفَائِيلُ. لَمْ أَسْمَعْكَ تَدْخُلُ.

– آسَفُ. هَلْ بِإِمْكَانِي مَسَاعِدَتِكَ؟

- هذا لطف منك. لكنني قادرة أن

أتدبر أمري بسهولة. أنت عملت

طوال النهار.

- لكنني لا أشعر بالتعب. إنه لفرح

كبير أن أستطيع مساعدتك, يا

آنسة...

- حسناً... ما دمت مصراً... شكراً.

بعدها جلب الشاب الصحون

المستعملة إلى المطبخ, بدأ يساعد في

تجفيفها. فاندشت الفتاة لأنها
اعتقدت بأن هذا العمل بالنسبة إليه
خاص بالنساء فقط. وراح يخبرها بأن
والده صاحب دكان لبيع البن في
مدينة آلرز. لكن جده كان حارس
ماشية و ورث عنه هذا الميل. كما
أخبرها بأنه ربح كمية من المال لا
بأس بها, فاشترى لنفسه دراجة و
جهاز راديو.

- سأريك المذيع, يا آنسة.
خرج الشاب بسرعة, ولما عاد,
وضع المذيع على الطاولة وأداره
وقال:

- آه, موسيقى البوب. هل تحبين
الرقص, آنسة جوسلين?
- آه, نعم, كثيراً.

راح الشاب يرقص حول الطاولة,
ويحمسها على الانضمام إليه. بعد

تردد قصير, شاركته بفرح. فجأة,
توقفت الموسيقى و قال الصوت:
- آسف لإفساد فرحكما, لكن يبدو
أنكما نسيتما بأن العمة مريضة وأن
الضجة تزعجها.

كان هذا الكلام صادراً عن جيرفيه,
المتقلص, الواقف على عتبة الباب.
- اعتذر رفاييل و حمل مذياعه و
ولى. فقالت جوسلين محتجة:

-لم تكن الموسيقى صاحبة, و أنا

أكيدة بأن العمة لم تسمع شيئاً.

-سألها متجاهلاً كلامها:

-ماذا كان يفعل هنا؟

-كان يساعدني في غسل الصحون

و تجفيفها. يبدو أنه صبي لطيف.

رفع جيرفيه حاجبيه وقال:

-صبي؟

-أظن أن عمره أقل من عشرين

سنة.

-عمره 19 سنة. لكن هنا الرجال

يبلغون باكراً. إنه رجل, يا صغيرة...

و بالنسبة إليه, أنت امرأة.

-ماذا تعني بالضبط؟

-إذا كنت لطيفة معه سيعتقد بأنك

تريدين مغازلته.

-آه, صحيح! هذا تافه! أنا أكيدة
بأن هذه الفكرة لم تخطر بباله. فهو
ليس من هذا النوع. انه خجول
جداً.

ضحك جيرفيه بسخرية و قال
بجفاف:

-جميع الرجال يعتقدون ذلك عنه.
انه يتصرف بحذر معك الآن, لأنك
ضيفتنا, لكنه رجل ذو تجارب

عديدة. ربما لا تعرفين بأن الرجل

الفرنسي يعتبر الفتاة الانكليزية

طائشة وسهلة المنال.

أجابت ببرود:

- في هذه الحال, لا تقلق من جهتي.

- لم أقل بأني أحبذ هذه النظرية,

لكنني أحذرک ببساطة من الرجال

الفرنسيين عامة, ومن رفاييل خاصة,

لأنه ربما يكون من دعاة هذه

النظرية.

- لكنه سيتخلى عن أوهامه بسرعة

متى عرفني.

- من الأفضل ألا نصل إلى هذا

الحد.

في تلك الأثناء دخل جان-مارك

وقال:

-ترید کامیلیا أن تأوي إلى فراشها,
وتسأل إذا كان بإمكانك أن تسرحي
لها شعرها, يا جوسلين.

-بكل سرور. اعذربي, يا سيد

سانتون.

سألت كاميليا ابنة عمها:

-ماذا جرى لجيرفيه؟ كان شديد

اللطف معي على مائدة الطعام. ماذا

قلت له؟

-أنا, لا شيء. منذ لحظة كان يوبخني

و يعظني لأنني لم أتصرف بلباقة.

و شرعت تخبرها عن حادثة المطبخ,

فقال لها كاميليا:

-نظرتة في محلها. صحيح انك تملين

هنا حتى الموت, لكن لا يجب عليك

أن تشجعي هذا النوع من الناس.

احتجت الفتاة و قالت:

- لكنني لم أشجعه. وماذا تعنين بد..

هذا النوع من الناس؟

- لا تكوني حمقاء, يا حبيبتى. في

انكلترا, لا يمكنك أن تخرجي مع

شباب من هذه البيئة الاجتماعية.

- هل نسيت بأن جان-مارك كان

حارس ماشية أيضاً؟

- هذا أمر مختلف. آل سانتون

أصحاب ماشية ومعروفون. حسب

رأبي, لا يجب للحراس أن يدخلوا
عتبة هذا المنزل اطلاقاً. على الأقل
لو ينزعون قبعاتهم خلال الطعام.
-هنا, التقاليد لا تطلب منهم ذلك.
لماذا لا يمكنك أن تتقبلهم على
حقيقتهم أنهم أفضل بكثير من
الشباب المخنثين الذين كنت تخرجين
معهم, في لندن.

-صحيح بأن لك أفكاراً غريبة! لم

تجادلي هكذا, في الماضي. ما بك؟

لقد تغيرت منذ وصولك.

-آه, صحيح؟ لا أشعر بأنني

تغيرت, والآن, سأستعير ساعة المنبة,

كي أفيق باكراً في الصباح و أعجن

الخبز!

-يا إلهي! هل تعرفين صنع الخبز؟ أنا

لا أعرف أي شيء عن هذا.

-آه, نعم. إنها عملية سهلة جداً.
في الخامسة إلا ربع دقت ساعة
المنبه, فنهضت جوسلين من نومها,
و قفزت من السرير و فتحت
النافذة على مصراعيها. لم يبدأ النهار
بعد. لكن بينما كانت تغتسل و
ترتدي ملابسها, سمعت صياح
الديك. الجميع ينامون ولم يظهر
الحراس إلا بعد السادسة.

وفي طريقها إلى المطبخ عرجت على
غرفة العمه للاطمئنان عنها. رأتها
نائمة بهدوء. وبينما هي خارجة من
الغرفة, انتفضت مكانها: هناك
انسان آخر في الغرفة! انه جيرفيه,
نائم على الكرسي, مكتف اليدين,
وذقنه فوق صدره. وبينما كانت
تراقبه, تحرك لكنه لم يفتح من نومه.
فتساءلت الفتاة إذا كان من واجبها

أن توقظه لتطلب منه أن يذهب إلى

سريره وينام قليلاً قبل بدء نهار

العمل الطويل. فتقدمت منه، ثم

ابتعدت، مقررة عدم ازعاجه.

في المطبخ، وجدت صعوبة في اشعال

نار الفرن. ثم تمكنت من ذلك بعدما

ملأت يديها ووجهها بالغبار

الأسود. اغتسلت ثم جلبت الطحين

و الخميرة بغية تحضير الخبز. كان

عملاً متعباً و صعباً. ولما انتهت,
وضعت العجين قرب النار ليتخمر
لمدة ساعة تقريباً. ثم راحت تمسح
أرض الغرفة. وفي حوالي السادسة
كان الخبز في الفرن و القهوة معدة.
سكبت لنفسها فنجاناً وجلست
قليلاً لتحتسيه.

فجأة امتلئ المطبخ بأشعة شمس
الشروق, فقامت و فتحت الباب

من جهة الشمال, ما تزال السماء
رمادية, بينما, شرقاً كانت وردية
مذهبة. مشت الفتاة نحو الساقية
حيث يبت السوسن البري. وما لب
أن اختفى الضباب الصباحي مع
طلوع الشمس.

بعد قليل, برزت ثلاثة أحصنة فجأة
من وراء الضباب, هزت اعناقها و
أذناها... ثم اختفت. لم تحدث أي

ضجة لأن حوافرها منتزعة فبدت
كأشباح خيالية... وفي هذه اللحظة
بالذات, عرفت جوسلين بأن ابنة
عمها على حق: نعم لقد تغيرت منذ
وصولها إلى هنا. ومن دون وعي أو
ادراك, وقعت في حب هذا
المكان... في حب هذا البلد المنغلق,
الغريب.

عادت إلى المطبخ لتجد جيره فيه
يسكب لنفسه القهوة. كان قد حلق
ذقنه و غير قميصه ولم يبد أنه قضى
الليل كله نائماً على كرسي صغير,
غير مريح.

ابتسمت له, ناسية مشاحنة الأمس
و قالت:

-صباح الخير. الطقس رائع اليوم.

-صباح الخير. و أنت أيضاً تبدين

بمزاج رائع. منذ متى بدأت العمل؟

-منذ الخامسة. هل تريد أن تأكل

شيئاً الآن؟

-كلا, شكراً. ليس الآن.

-لا شك أنك تعاني من آلام في

الظهر. عندما استيقظت, عرجت

على غرفة العمة لأطمئن عنها.

فوجدتك نائماً على الكرسي.

- آه, فهمت. نعم. أشعر بتيبس

بسيط في ظهري. لكن ذلك

سينجلي بسرعة.

لم تعرف الفتاة ما الذي دفعها إلى

القول:

- أنت تحب عمك كثيراً, أليس

كذلك؟

- كان هناك احتمال بسيط أن

تكون كدمة رأسها خطيرة أكثر مما

توقعت في البداية. لذلك فضلت
البقاء قربها لمراقبتها. لكن قلبها
ينبض جيداً، و حرارة جسمها
عادية. انها تتنفس بشكل طبيعي، ولم
يعد هناك أي سبب للقلق عليها.
- آه... أنا سعيدة لهذا الخبر.
اتجهت الفتاة نحو الخزانة، فتحت
أحد الأدراج لتخرج منه السكاكين و

الملاعق, لكنها قبل ذلك, التفتت

نحوه و قالت:

–أعتقد أنه من واجبي الاعتذار

منك. لقد انزعجت كثيراً منك

عندما رفضت استدعاء الطبيب.

لكنني أرى الآن بأنك قلق عليها

مثلي... بل ربما أكثر. أنا آسفة يا

سيد سانتون.

حدق بها من دون أن يرد و كانت
نظرته مليئة بالتهكم. لكنه ابتسم لها

قبل أن يقول:

-هل تعرفين أن تحلبى البقر؟

-كلا... لا أعرف.

-إذن, سأحلب البقرة أنا, مكانك.

ذعرت الفتاة وصرخت:

-آه, يا إلهي. نسيت الحليب على

النار.

ثم أضافت بقلق:

- كما لا أعرف صنع الزبدة, أيضاً.

= لا أهمية لذلك. سأوكل أحد

الحراس بهذه المهمة, لبضعة أيام.

صناعة الزبدة عمل صعب و متعب,

لمن ليس معتاداً عليه.

خرج جيرفيه ليحلب البقرة, تاركاً

الفتاة مندهشة أمام لطفه الغريب.

في الصباح, وصل الطبيب لتفقد
صحة المرأة الحامل, ففرح لرؤيتها
خارج السرير. و هنا جوسلين
بذلك, فوجدته الفتاة انساناً لطيفاً,
و وثقت به عندما طمأنها بأن لا
خطر على صحة كاميليا و الطفل و
أن الحمل يسير بشكل طبيعي. كما
قال لها بأن العمة بحاجة إلى أسبوع

راحة كي تستعيد نشاطها الروتيني

من جديد.

احضرت جوسلين للغداء ثلاث

فطائر بالجبن و البصل و الكوسى،

فلاقت نجاحاً كبيراً ولم يبق لها أثر في

نهاية الطعام.

ومع ذلك، فبينما كانت تجلي

الصحون، شعرت بالحزن و بعض

الانهيار النفسي و الكآبة: "أما كان

بإمكان جيرفيه أن يقول لها شيئاً
بدوره". جميع الحراس أثنوا عليها
بكلمات المديح, لكن جيرفيه غادر
الطاولة من دون أن ينظر إليها.
ولمدة ثلاثة أيام متتالية, كانت
جوسلين تعمل بقسوة, تكبت أحياناً
دموعها بسبب الام تملأ كل أنحاء
جسمها. لكن, كلما رأت جيرفيه في

الجوار, تتدرع بالنشاط و ترندح

الأغاني باسترخاء.

ذات مساء, أعلن لها جيرفيه بأنه

سيذهب إلى مزرعة آل دورانس

وطلب منها مرافقته, فاعتذرت منه

وقالت:

- كلا, لن آت. سأغسل شعري و

أكتب بعض الرسائل الضرورية ولا

وقت لديّ للزيارات.

رمقها بنظرة ثاقبة وقال:

– أنت شاحبة الوجه. هل عمل

المنزل يتعبك كثيراً؟

– كلا. أنا أحب أن أشغل نفسي.

هل أنت مستاء من خداماتي؟

– لا أظن أن الرجال مستأؤون من

أي شيء.

نظرته الباردة جرحت مشاعرها إلى

درجة أنها أدارت له ظهرها وخرجت

بسرعة لئلا يرى الدموع في عينيها.
وفي تلك الليلة لم تعرف طعم النوم.
في منتصف الليل, نهضت من
فراشها و وضعت على وجهها عطراً
منعشاً ثم اسندت يديها على النافذة
و راحت تصغي إلى تغريد العندليب
و شعرت بالانفعال يخنقها.
المستنقعات تلمع تحت ضوء القمر
كبحيرات فضة تذوب. ولما عاد

جيرفيه من سهرته, كانت جوسلين ما

تزال جائمة أمام النافذة, لكنها

ابتعدت وراها... أخيراً, نامت.

في صباح اليوم التالي و بينما كانت

تعد مائدة الطعام, دخل إليها

جيرفيه, فحيته باقتضاب و استمرت

في عملها. فقال لها:

- رأيت الغجر يقيمون قرب الطريق,

مساء أمس. ربما سيتوقفون هنا, في

طريقهم إلى الاحتفال بعيد السيدة
سارة. فلا تقلقي, لن يسرقوا شيئاً.
و إذا قدمت لهم الحليب و الخضرة,
قد يخبروك طالعك.

-أنا لا أؤمن بالتنجيم و لا
بكاشفات البخت هذه كلها
حماقات!

-بمكانك أن تصغي إليهن بتهذيب,
من غير أن تصدقي أقوالهن.

قالت من دون أن تنظر إليه:

— آسفة... —

— ما الذي كان يمنعك من النوم

مساء أمس؟

أجابت مندهشة:

— هل رأيتني؟

— رأيت شيئاً يتحرك وراء النافذة.

-نعم, كان الحر شديداً. هل

أضيت سهرة ممتعة عند آل

دورانس؟

-رائعة جداً. سيلين مضيئة ممتعة.

ربما سرتينها اليوم, فستأتي لرؤية

العمة مادلون.

في العاشرة صباحاً وصلت الفتاة

الفرنسية إلى مزرعة آل سانتون,

أضمت حوالي نصف ساعة مع

العمة, ثم وافت كاميليا و جوسلين
في الساحة. كاميليا ممددة على
كرسي طويل في ظل مظلة واسعة,
تصفح إحدى المجلات, بينما
جوسلين تستريح قليلاً قبل أن تعاود
أعمالها العديدة.

في الحال, بدأت كاميليا و سيلين
تتحدثان عن آخر اختراعات الموضة
النسائية, فدخلت جوسلين تعد لهما

القهوة و تتساءل كيف بإمكان الفتاة
الفرنسية أن تتصرف بلطف و محبة
مع كاميليا التي سرقت منها جان-
مارك و تزوجته.

قالت سيلين لكاميليا:

-أنا آسفة لأنك لا يمكنك المجيء
لزيارتي, كي أريك ملابس الجديدة.
هتفت كاميليا بفرح:

-لكنني سأكون مسرورة لزيارتك.

-صحيح. جيره قال لي بأن
المسافة في سيارة الجيب ستعرضك
للإرهاق, وربما تتأذى صحة الجنين.
-هذا أمر تافه. أنا أرغب من كل
قلبي في زيارتك.

-إذن, لماذا لا تأتي في المساء
لزيارتي بعدما يعود جان-مارك من
عمله. سأريك كل ما اشتريت من

باريس, و بإمكان زوجك و أبي أن

يتحدثا معاً في سباق الثيران.

— هذا مشروع رائع, يا سيلين.

قالت جوسلين في الحال:

— هل تعتقدين أن هذا قرار مناسب

لك, يا كاميليا, الطريق رجراجة,

صدقيني.

-آه, لا أريد مشاكل, يا جوسلين.

فجان-مارك سيقود السيارة على

مهل.

قالت سيلين:

-وأنت, يا آنسة بيشوب, تعالي

معهما.

لكن كاميليا تدخلت بسرعة و

قالت:

-على جوسلين أن تبقى مع العمّة,
فلا يجب تركها وحدها, خاصة أنني
سمعت جيرفيه يقول بأنه ذاهب في
المساء إلى آلرز.

-آه, نعم... نسيت العمّة مادلون
نُضت جوسلين وقالت:

-المعدرة, عليّ أن أهتم بتحضير
الغداء.

اعدت الفتاة حساء البصل, ثم
تذوقته وفرحت لروعة طعمه اللذيذ.
و بينما كانت تقطع شرحات الخبز
تساءلت لماذا ابنة عمها اصرت على
ابعادها من زيارة مزرعة آل دورانس.
عرجت سيلين إلى المطبخ في طريق
ذهابها وقالت لجوسلين:

-آه, الحر شديد هنا. لا شك أن

هذا العمل الذي تقومين به الآن

مرهق, أليس كذلك؟

أجابت الفتاة الانكليزية بتواضع:

-لا بأس. لقد قيل لي بأن منزل

والدك عصري, و مجهز بكل

والوسائل الحديثة الضرورية؟

-نعم. كل شيء فيه. لكن، أنا لا

أنظف البيت ولا أعدّ الطعام.

ثم نظرت إلى قدر الحساء و أضافت

سائلة:

-وماذا هنا في داخل القدر؟

-حساء بصل.

-هل بإمكانني تذوقه؟

-نعم، طبعاً.

-آه، انه رائع. قال جيرفيه بأن...

سعلت الفتاة كأن الحساء حرق
حنجرتها لشدة سخونته ثم تابعت

تقول:

- قال جيرفيه بأنك طباحة ماهرة.

- آه, صحيح؟

سمعت جوسلين العمة ترن جرسها,

فهرعت إليها. و لما عادت إلى

المطبخ كانت سيلين قد ذهبت.

قبل موعد الغداء بقليل, جاءت

كاميليا وقالت لابنة عمها:

—ستجعين شعري, يا جوسلين,

اليوم بعد الظهر. فلا يمكنني الخروج

هكذا.

قالت هذا الكلام بلهجة آمرة و

ولّت.

وعلى مائد الغداء, كانت جوسلين

آخر من سكب الحساء في طبقه.

جلست بفخر لتستمع بهذه الوجبة
الطيبة. لكن ما ان احتست الجرعة
الأولى حتى تقلص جسمها. ولم
تصدق, تناولت جرعة ثانية. طعم
الحساء مقيت!

وضعت الملعقة و نظرت إلى الرجال.
لا أثر لأي تعبير استياء أو قرف
على وجوههم, يأكلون بشهية
كالعادة ولا يتدمرون من شيء. ثم

التفتت نحو ابنة عمها التي كانت
تصنع الاحتساء. اشتبكت
نظراتهما، فرمقتها المرأة بنظرات
حانقة مما جعل جوسلين على وشك
الانهيار وتمنت لو باستطاعتها
الاختفاء تحت الطاولة.
أخذت نفساً عميقاً وأعلنت تقول:
- سادتي, يجب أن أعتذر منكم. هذا
الحساء لا يؤكل. طعمه مقيت.

وضع الواحد تلو الآخر ملعقته على
الطاولة من دون النظر إليها. بعضهم
اكتفى بمضغ الخبز، و البعض الآخر،
وضعوا فوقه زبدة. تعابير وجوههم
فير واضحة.

نهضت جوسلين من مكانها و
أضافت تقول:

—أنا آسفة... حقاً آسفة. بسرعة
سأحضر لكم شيئاً آخر.

قال جيرفيه بصوت هادئ:

— لا ضرورة، يا صغيرتي. سنكتفي

بأكل الخبز الطازج مع الجبنة.

رمقها بابتسامة حارة، فتأثرت كثيراً

وفرح قلبها.

ولما باتت كاميليا وحدها مع

جوسلين، راحت تؤنبها قائلة:

— حقاً، يا جوسلين! لم يسبق أن

انزعجت في حياتي مثل الآن. كيف

باستطاعتك أن تفعلي شيئاً كهذا،

أنت الفتاة الشاطرة؟!!

– آسفة. لم أفعل ذلك عن قصد.

حتى الآن لم أفهم ماذا جرى.

– انه الصابون، طبعاً. كيف بإمكانك

أن تكوني غافلة، طائشة، إلى هذه

الدرجة؟

– صابون؟ مستحيل! كيف يقع

الصابون في الحساء؟

- هذا ما أحب معرفته. لا شك أنك

كنت ساهية و وضعت منه بدل

الزبدة. بأي تفسير آخر يمكنك أن

تبرري غلطتك؟

- لكنني من النوع الذي ينتبه كثيراً،

ولا أسهو أبداً.

- يا ابنتي العزيزة. لا ضرورة لمتابعة

هذا الحوار. في الحساء صابون و هذا

كل ما في الأمر. هل سكبت من

الحساء للسيدة سانتون؟

- كلا. أطعمتها عجة بالفطر.

- لا شك اذن بأن جيرفيه سيخبرها

بما حصل. لحسن حظك أن الصابون

ليس مادة خطيرة. لكن، مع ذلك،

سيمرض بعض الرجال، خاصة الذين

تناولوا كل شيء.

ذعرت جوسلين و قالت لابنة عمها:

-آه, لا! هل تعتقدين ذلك؟

-لن أفاجأ بالأمر. أشعر الآن بألم

حاد في رأسي. سأرتاح نصف ساعة,

و بعدها تجعدين شعري.

بينما كانت الفتاة تجلي الصحون لم

تكف لحظة واحدة عن التفكير بما

حدث, عليها تجد تفسيراً لوجود

الصابون في الحساء. افرغت محتوى

القدر في برميل القمامة وصعقت

حين وجدت في قعره فتيلة شمعة: "

آه, الشموع موضوعة في خزانة
المونة, و أنا لم أفتحها منذ البارحة".

أطرقت الفتاة تقول في نفسها: "

إذن, ما حدث ناتج عن تخطيط
مسبق. لكن من؟ ولماذا؟

الجواب الأول الذي خطر لها:

السيدة سانتون... لكن، صحيح أن
العجوز عنيدة وصلبة, لكنها ليست

شريرة إلى هذا الحد. و لو أن العمّة
هي التي وضعت الشمعة في الحساء،
لفعلت ذلك في الصباح الباكر،
عندما كانت الفتاة تنظف البيت. في
الساعة الحادية عشرة، كان الحساء
لذيذاً لقد ذاقته، و كذلك سيلين...
سيلين! ربما هي التي فعلت ذلك.
كانت في المطبخ عندما قرعت
العجوز. ولما عادت جوسلين إلى

المطبخ, كانت سيلين قد اختفت.
تكفي ثوان معدودة لجلب شمعة من
خزانة المؤون و وضعها في الحساء.
لكن، كيف تمكنت سيلين من معرفة
مكان وجود الشموع, هي التي تأتي
إلى المزرعة نادراً جداً؟ لأي سبب
فعلت ذلك؟ للمزاح و النكتة؟
كانت جوسلين ما تزال تبحث عن
مفتاح السر عندما رأت جيرفيه

عائداً على حصانه. دخل المطبخ و

سأل:

– أين كاميليا؟ ألا يمكنها مساعدتك

في تنشيف الصحون؟

– تعاني من ألم حاد في الرأس، و

ترتاح في الوقت الحاضر.

سحبت الفتاة يديها من ماء الجلي،

ثم نشفتها. لقد نسيت أن ترتدي

القفازين البلاستيكيين الجديدين,
فبدأت يداها حمراوين منتفختين.
-وأنت أيضاً بحاجة إلى الراحة. يجب
أن تمضي فترة القيلولة في سريرك. لم
تخلدي إلى النوم البارحة إلا خمس
ساعات وهذا لا يكفي. اتركي كل
شيء الآن, و اذهبي إلى غرفتك.
تنشفين الصبحون فيما بعد.

- كلا, وعدت كاميليا أن أجد
شعرها. ستذهب في المساء إلى مزرعة
آل دورانس مع جان-مارك. في كل
حال, أنا لا أشعر بالتعب.
كانت تكذب طبعاً, وبينما راحت
تمد يدها لجلب منشفة الصحون,
أمسك جيرفيه معصمها و هز رأسه
و قال:

-ستذهبن إلى غرفتك الآن و
ترتاحي, يا ابنتي. تباً لكاميليا و
لشعرها. آه, ماذا هنا؟ جرحت
اصبعك؟

من دون أن يتركها, جلبها إلى كرسي
قرب الطاولة و قال:

-اجلسي. سأضع فوق الجرح دواء
مطهرًا, ثم لصقة وقائية.

ادرکت جوسلين في الحال أنه من

الأفضل لها عدم معارضته و إلا

جرها إلى غرفتها. قال:

—اذن كاميليا ذاهبة في المساء لزيارة

مزرعة آل دورانس! أنا غير موافق

لكن لا أستطيع منعها إذا كان زوجها

موافقاً. هل دتك سيلين لزيارتها

أيضاً؟

-نعم, لكنني رفضت. أنت ذاهب

إلى المدينة, أليس كذلك؟ و أنا

سأبقى قرب العمرة و أنام باكراً.

ذهب جيرفيه ليجلب ما يحتاج

لتضميد جرح اصبع الفتاة, ثم عاد

وتقدم منها و قال:

-يداك لم تكونا على هذه الحال

لدى وصولك إلى هنا. أأست نادمة

على قبولك العمل مكان العمرة؟

احمرّ وجه الفتاة, فأشاحت وقالت:
- هل تحاول اقناعي بأنك على حق,
و بانني مخطئة؟ خاصة بعد حادثة

الغداء...

- آه, نعم... الحساء...

فضلت عدم النظر إليه كي لا تعرف
قصده. تشعر دائماً بالانزعاج قربه و
خصوصاً اليوم, لأن اعصابها متوترة
جداً. قالت بصوت متقلص:

- كنت لطيفاً في تصرفك معي, بعد
الحادثة. وفي كل حال, لم تكن مخطئاً
حيالي.

سأها بجفاف:

- وهل رأيي يهملك؟ تصورت بأنك
لا تبالين بما أقول و أفكر.
نظرت إليه أخيراً و رأيت في عينيه
بريقاً يقطع الانفاس. لم يتسن لها
الوقت للرد عليه, لأن كاميليا

دخلت في هذه الأثناء إلى المطبخ

وقالت:

– أشعر الآن بتحسن, يا جوسلين.

هل أنت مستعدة لتجعيد شعري؟

قال جيرفيه بسرعة:

– للأسف جوسلين تعاني من ألم حاد

في الرأس و أمرتها أن ترتاح حوالي

ساعتين.

بدأت كاميليا تقول:

- لكن, و شعري... .

قاطعها بخشونة و قال:

- شعرك يستطيع الانتظار, يا سيادة.

ثم تأبط ذراع الفتاة و رافقها حتى

الغرفة, وقال لها:

- لا تحاولي الخروج. سأكون في المنزل

و سأسمعك.

ثم أدار ظهره و ذهب.

بقيت جوسلين ممددة في غرفتها
المعتمة طول ساعات الظهر الحارة.
لكنها لم تنم لحظة. لا تفكر بشيء,
لا بالحساء المقيت, ولا بتجعيد شعر
ابنة عمها, و لا بالكوي غير
المنتهي, ولا بتحضير العشاء...
بدت لها كل هذه الأمور من غير أية
أهمية اطلاقاً. لا يهملها سوى شيء

واحد: اكتشافها الرهيب بأنها وقعت

في حب جيرفيه سانتون.

حوالي الرابعة, نهضت جوسلين من

سريرها, اغتسلت و ارتدت ملابس

نظيفة ثم خرجت إلى المطبخ, حيث

وجدت كلمة تقول:

–لقد أوكلت شخصاً لزيارة عمتي في

المساء و المكوث قربها, فأنت اذن

حرة لزيارة مزرعة آل دورانس, إذا

كنت ترغبن ذلك.

لا توقع على الرسالة, لكنها ليست

غبية لتعرف بأنها صادرة عن جيرفيه

نفسه.

لما حملت جوسلين القهوة لابنة

عمها, قالت لها هذه الأخيرة بوجه

عابس:

—اذن, تشعرين الآن بتحسن؟

- نعم, شكراً. هل ذهب جيرفيه إلى

مدينة آلرز؟

- نعم. كما وجد من يبقى مع عمته.

بإمكانك المجيء معنا, إذا كنت

ترغبين بذلك.

- كلا, لن آتي. لا شيء يهمني في

هذه الزيارة.

هزت كاميليا كتفيها و قالت:

- كما تريدن.

كانت المرأة غاضبة بسبب شعرها,

لكنها لانت عندما اقترحت عليها

ابنة عمها أن تجعده لها على

الناشف. ولما عاد جان-مارك من

عمله, كانت زوجته جاهزة, متألفة,

و بمزاج رائع.

حوالي الثامنة, انتهى العشاء,

فغسلت جوسلين الصحون كالعادة,

ثم خرجت في سيرها الاعتيادي نحو

الساقية, بينما كانت زوجة أحد
الحراس تثرثر مع العمّة. راحت تتأمل
السهل الواسع, الممتد أمامها محروفاً
بالشمس اللاهبة.

فجأة فكرت بانفعال مفاجئ: " ربما
جيرفيه يعود باكراً؟ "

ثم قالت الناحية المدركة في دماغها:
" لا تكوني حمقاء. إذا بدأت منذ

الآن التفكير و الحلم به, ستخسرين

نفسك! الأفضل عدم التفكير به

اطلاقاً. ليس هذا ما يسمونه "

الحب" يا أيتها الحمقاء, انما ميل

فاتن, فقط لا غير .

و بينما كانت منغمسة في افكارها, لم

تسمع رفايل يقترب منها. فحين

لمس ذراعها, انتفضت, فقال لها:

-لم أكن أقصد اخافتك. انما كنت

أتساءل إذا...

توقف عن متابعة الكلام, منزعجاً,

خجولاً. نظرت إليه الفتاة نظرة

مشجعة, فأضاف يقول:

—...إذا كنت تحبين أن تأتي إلى

للسباحة, يا آنسة؟

—لكن, أين؟

—في البحر. انه لا يبعد من هنا

سوى كيلومترات قليلة. في دراجتي

النارية, نصل بسرعة. لكن, ربما لا

تحبين البحر؟

-آه, بلى, بالعكس.

-اذن, هل تأتين؟

ترددت جوسلين. لديها الكوي غير

المنتهي. لكنها بحاجة إلى تمويه

عقلها. فالسهرة على شاطئ البحر

شيء مريح, سيسمح لها بالنوم

جيداً, خاصة إذا سبحت حتى

التعب, ثم أجابت:

— سأكون مسرورة جداً بمرافقتك, يا

رفايل. انتظري.

لم تسألها السيدة سانتون إلا عن

موعد عودتها, عندما اخبرتها الفتاة

عن رحلة البحر. فارتدت قميصاً

قطنياً فوق سروال الجينز و وضعت

بزة السباحة في منشفة, ولم تنس أن
تأخذ معها كنزة.

كان رفايل ينتظرها على دراجته
النارية. بعدما تأكد من جلوسها
المريح وراءه, أدار المحرك, ثم قال لها
بصوت عالٍ:

-تمسكي جيداً, يا آنسة.

وضعت الفتاة ذراعيها حول خصره
و تنفست عطره الناعم, ثم تذكرت

تحذيرات جيفيه: " إذا كنت لطيفة,

سيظن بأنك تريدين مغالته. انه

رجل... و أنت, بالنسبة إليه, امرأة

."

نهاية الفصل الرابع

5- وكان لابد لها أن تشهد الجانب

العنيف من حياة الكامارغ فبعد

وقت لطيف على الشاطئ جاء عراك

و بعد العراك جاءت البصّارة...

قبل التاسعة وصلا إلى الشاطئ،
النهار ما زال ساطعاً مع أن الشمس
بدأت تختفي وراء الأفق. المكان رائع
ولا أحد في الجوار. ارتدت جوسلين
بزة السباحة وراء شجرة صغيرة، قم
وافت رفايل إلى البحر. لعبا معاً في
الماء الدافئة، الشفافة لمدة نصف
ساعة، و لما عادا إلى الشاطئ
الرملي، كانت جوسلين قد استعادت

حيويتها, فارتمت فوق منشفتها و

قالت:

– آه, انها الجنة!

جلس رفاييل قربها على منشفته, ثم

انتشل من كيس صغير لوح شوكولاتة

و ناولها اياه, فقالت له:

– آه, رائع! أنا جائعة حقاً. و كان

يجب عليّ أن أتذكر و أجلب بعض

الخبز على الأقل.

قطعت لوح الشوكولاتة نصفين و

ناولته جزءاً, فقال لها:

- كلا, اللوح كله لك, أنا سأدخن

سيكاره.

بقيا صامتين قليلاً, الفتاة تقضم

بشهوة و تتأمل الأمواج تصفق على

الرمل, و الشاب ممدد على ظهره,

مغمض العينين, يدخن سيكارته

بكسل. نسيت الفتاة وجوده كلياً،

عندما نهض فجأة وسألها:

-هل لديك صديق في انكلترا، يا

جوسلين؟

أجابت و هي تنظر إلى البحر قلقة:

-أنا لست مخطوبة لأحد، إذا كان

هذا ما تريد معرفته.

-لكن، هل هناك رجل تحببته كثيراً و

تفضلينه عن الآخرين؟

تذكرت طوم, لو لم تسافر لربما عقدا
خطبتهما؟ طوم العزيز... اللطيف...
الواثق من نفسه... ربما لقيت
السعادة معه... لو لم تأت إلى

فرنسا.

أجابت الفتاة:

- كلا, كلا, لا أحد.

اطفاً رفاييل سيكارتته و قال:

-أنا, تعرفت على العديد من
الفتيات, لكن لم يحصل شيء جدي
حتى الآن. في كل حال, لا أنوي
الزواج قبل أن أبلغ الثلاثين من
عمري, على الأقل.

نظرت إليه مبتسمة و قالت:

-إذا انتظرت حتى ذلك الوقت, ربما
انقرضت الفتيات الجميلات! يقال

أن فتيات مدينة آلرز رائعات

الجمال, أليس كذلك؟

–آه, نعم... عندما يكن شابات

فقط... إذ سرعان ما يصبحن

سمينات, شرسات, كلما كبرن في

السن. لكنك أنت و ابنة عمك

تختلفان عن بنات بلادنا.

–ماذا تعني؟

- أعني بأن بنات بلادنا متى تزوجن،

يتوقفن عن الاهتمام بأنفسهن.

- لو كنا، ابنة عمي و أنا، نعمل

بقسوة مثل نساء الحراس، لما وجدنا،

مثلهن، الوقت للاعتناء بأنفسنا. في

كل حال، أنت أيضاً، لن تبقى شاباً

وسيماً إلى الأبد. ذات يوم ستنتفخ

و ستشيخ و ستفقد وسامتك و

نضارتك.

ضحك و قال:

–ربما. لكن أنت, ستظلين جميلة

دائماً.

ضحكت الفتاة و لم تعرف تماماً كيف

تنظر إلى الوضع الحالي. هل يتكلم

رفاييل هكذا مع كل الفتيات؟

فأحابتها غير مبالية:

-شكراً لهذا المديح. لكن، قل لي،
ما رأي الحراس بزواج جان-مارك من

فتاة أجنبية؟

-يقولون عنه بأنه محظوظ. آه، هل

قيل لك بأن السيدة سانتون كانت

تأمل من جان-مارك أن يتزوج

الآنسة دورانس؟

-نعم. هل هذه الأقاويل خاطئة؟

- كلا, كلا, انها صحيحة. قبل ان
يسافر جان-مارك إلى باريس, كان
يبدو عليه أنه سيوافق على قبول
هذا الزواج. لكنه وجد صعوبة في
الحصول عليها, لأنها فتاة فظة, لا
تريده هو, انما تريد الزواج من المعلم
الكبير.

قالت جوسلين باضطراب و دهشة:

- من جيرفيه؟

- لا تعرفيه ذلك بعد؟ انه الموضوع

الأكثر تسلية في أحاديث المنطقة:

هل تحصل عليه أم لا؟

- وحسب رأيك, ماذا سيحدث؟

- آه, سيستسلم لها جيرفيه في نهاية

المطاف. انها فتاة جميلة, جذابة, و

تملك مهراً ضخماً. يعرف المعلم

كيف يسيطر عليها. الثيران,

الأحصنة, النساء... شيء واحد

بالنسبة له. الفتاة اللطيفة, السلسة,

الطبعة, لا تناسبه أبداً...

حل الليل و الرمل ما يزال ساخناً.

لكن جوسلين أخذت ترتجف برداً,

فقالت:

– لماذا إذاً, لا يطلب جيرفيه يدها؟

ماذا ينتظر؟

– جيرفيه لا يريد الزواج الا من أجل

انجاب أولاد يرثونه و يحلون مكانه

فيما بعد. رجل مثله ليس بحاجة إلى
خاتم في جيبه ليركع الفتيات أمامه.

نهضت جوسلين وقالت:

— سأرتدي ملابسني.

ثم عادت إلى رفايل الذي كان

يسرح شعره بتأن. فقال لها:

— آسف لأنني حدثتك بهذه اللهجة

و هذه الصراحة. ليس في نيتي أن

أصدمك. انما هذه هي الحقيقة في

بلادنا.

لم تنهض الفتاة بسبب كلام رفايل،

انما لتخيلها صورة جيرفيه، الرجل

العازب، المحنك، الذي يريد زوجة

له، فقط، كي يستمر نسله.

أجابت جوسلين بهدوء:

— لا أهمية لذلك، يا رفايل.

لما صعدا إلى الدراجة النارية, اقترح

الشاب قائلاً:

-هناك مقهى صغير في طريقنا,

باستطاعتنا التوقف عنده و احتساء

القهوة.

المقهى بناء منعزل و قديم. امامه

توقفت الشاحنات و الأحصنة

المربوطة بالحاجز و قافلة غجر. أشار

رفاييل رأسه إلى القافلة و قال:

-الفجر!

في تلك الأثناء سمعا عزف قيثارة
داخل المقهى، فاختمى ضجيج
الأصوات و الضحكات و بدأ الناس
يغنون و يصفقون مع ايقاع
الموسيقى. كانت الصلاة تعج بالناس.
أمسك الشاب يد جوسلين و سارا
معاً نحو احدى الزوايا، ثم هتف
لأحد الحراس فنهض الحارس و

أعطى مكانه للفتاة, ابتسمت له

جوسلين و قالت:

-شكراً, يا سيد, شكراً.

انحنى الحارس مبتسماً, ثم ابتعد.

طلب رفايل من الخادم احضار

القهوة. وبينما كان أحد الفجر

يعزف على الكمان, راحت امرأة

عجوز تمر بين الطاولة طالبة من

الزبائن كشف بختهم.

بعد قليل لاحظت الفتاة مجموعة
رجال غرباء عن المنطقة, جالسين
حول طاولة يجتسون المشروبات.
فجأة لمحت أحد رجال هذه المجموعة
يشير إليها بيده, فاحمرت و أزاحت
وجهها. أخبرها رفاييل, بعد أن رمق
الرجل بنظرات حقد, بأن هؤلاء
الرجال من عمال حقول الأرز.
فتذكرت ما أخبرها به جان-مارك

عن المشاجرات التي تحصل عادة بين
حراس الماشية و هؤلاء العمال.
فبعد الحرب, جرى تخصيص قسم
كبير من أراضي منطقة الكامارغ
لزراعة الأرز, فخاف أصحاب
الماشية و حراسها أن يتسع هذا
القسم بمرور الزمن, على حساب
مراعي القطعان. خاصة أن العمال
النازحين يختلفون كلياً عن الحراس

المحافظين, الفخورين بأرضهم و

منطقتهم. و هذا الخوف ما زال

مسيطرأ على المنطقة.

نظرت جوسلين إلى ساعة يدها و

فوجئت بتأخرها. الساعة تشير إلى

العاشرة و النصف, بينما وعدت

السيدة سانتون في العودة إلى المزرعة

قبل العاشرة فطلبت من رفاييل

الذهاب فورأ. وبينما كان الشاب

يدفع الفاتورة, تقدم أحد العمال من
الفتاة و انحنى و قال لها شيئاً لم تفهم
معناه.

لكن رفاييل سمع ما قاله العامل,
فارتسم الغضب على وجهه وأمر
الرجل بترك جوسلين و شأنها. وما
حدث بعد ذلك كان بمثابة كابوس
بالنسبة إليها. عم الصمت أرجاء

المكان, و حدقت العيون بالشاب و
العامل.

خرج رفاييل إلى خارج المقهى و تبعه
العامل, و بدأت المعركة بينهما. لم
يسبق للفتاة أن رأّت مشاجرة حية
بالأيدي من قبل. الحقيقة القاسية
أغشتها, فراحت تصرخ و تقول
لصاحب المقهى:

-آه, أرجوك... أوقفهما! أرجوك!

لكنه كان يهز كتفيه و رأسه و يقول:

—عراك كهذا يتكرر باستمرار ومن

الأفضل عدم التدخل.

خلال الدقائق الأولى, ظل العراك

مناصفاً. صحيح أن العامل أضخم

جثة من رفايل, لكنه أقل منه بنية

جسدية. احتد العراك و أحيطت

حلبة المصارعة بدائرة من الزبائن

المتحمسين لمعرفة نتيجة العراك.

فجأة, توقفت سيارة جيب على بعد
امتار قليلة من حلقة المشاهدين,
نزل منها جيرفيه و تقدم داخل
الحلبة. فرح قلب جوسلين لدى
رؤيته, ولو لم تكن محاطة بالفجر,
لأسرعت إليه.

أطلقت زفرة ارتياح عندما رآته يدفع
رفاييل جانباً ثم أمسك بخصر العامل

الذي حاول التخطيط بشدة, لكنه

وقع أرضاً بدوره.

رفع جيرفيه نظره إلى الجمهور و لمح

بعض رفاقه, فقال آمراً:

—خذوه من هنا.

ثم رأى جوسلين, فاتجه نحوها بوجه

غاضب و حاقده, ثم أمسكها من

ذراعها بشدة و جرها إلى سيارته,

بينما كانت تردد بتلعثم قائلة:

-لكن... لكن رفايل؟

لم يرد عليها, بل دفعها إلى داخل
السيارة ثم صعد إلى مكانه و أقلع في
غيمة غبار كثيفة. بصعوبة تمكنت
الفتاة من السيطرة على ارتجاف
جسمها و توترها العصبي لكنها
ظلت تخشى المشهد الذي سيلبي.
عندما وصلا إلى المزرعة, كانت عينا
جيرفيه قد فقدتا برقيهما التهديدي,

انما فمه ظل متقلصاً. و بصوته

العادي الهادئ قال:

- اذهبي إلى فراشك. سأعيد زوجة

الحارس إلى منزلها...

نظرت إليه الفتاة بدعور, و من

غرفتها سمعت محرك الجيب يقلع. و

بعد قليل وصل جان-مارك و

كاميليا. و لما تأكدت من أن

الزوجين ناما, نزلت إلى المطبخ لتعد

لنفسها فنجان قهوة عليها تستعيد
نشاطها. لن تستطيع النوم قبل أن
تحدث إلى جيرفيه و تبرر موقف
رفايل.

لكن عندما سمعت أصوات خطوات
تتقدم من الباب الخلفي, كادت أن
تفقد رباطة جأشها و تفر, ولما رآها
جيرفيه جالسة أمام الطاولة, قطب
حاجبيه و قال:

- هذه أنت... ألم أقل لك أن تذهبي

إلى فراشك؟

بلعت الفتاة ريقها و أجابت:

-عليّ أن أحدثك... أن أشرح لك

ما جرى.

-بإمكانك مناقشة ذلك غداً

صباحاً. الساعة تشير إلى منتصف

الليل ولا أريد ازعاج الآخرين.

-آه, أرجوك... لا أستطيع أن أنام
قبل أن أحدثك. أنت غاضب,
أعرف ذلك. اسمعني, أرجوك. لن
أطيل الحديث.

-حسناً. ما دمت تصرين. لكنني
أتكهن بما حدث. انه رفايل الأحمق,
لا مكان له في مزرعتي بعد الآن.
عليه أن يبحث عن عمل في مكان
آخر.

-هل يعني بأنك ستطرده؟

-نعم. لقد سبق و أنذرته مراراً. و

إذا كان يفضل عدم طاعتي, فعليه

أن يتحمل عواقب ذلك.

-لكن, ليس من العدل طرده... لم

تكن غلطته. لو... لو كنت انت

هناك أيضاً, لتشاجرت مع هذا

العامل الحقير. لقد عاركته في كل

حال.

- ضربته لأنها الطريقة الوحيدة لوضع

حد نهائي للعراك. أنا أعارض الرد

على التحديات. العنف لا يؤدي إلى

شيء.

خلع سترته الجلدية و قال:

- أهالي منطقة الكامارغ يخافون جميعاً

امتداد حقول الأرز. لكن العراك لا

فائدة منه. إذا كان رفايل لا

يستطيع رؤية أحد هؤلاء العمال من

دون أن يجن جنونه, فهو إذن بحاجة

إلى درس جيد.

قالت محتجة:

— أنت لا تفهم. كانت الغلطة غلطتي

أنا. لقد تشاجرا بسببي أنا.

تقلص حنقه و سأها بجفاف:

— ماذا تقصدين؟

— قال لي العامل شيئاً لم أفهمه,

فطلب من رفايل الابتعاد, فأجابه

العامل بأنه لن يتعد إلا بالقوة. حتى
أنت, كنت رديت على هذا التحدي
أليس كذلك؟

لمعت عينا جيرفيه و قال:

- ما كان عليه أن يسطحك إلى هذا
المكان, في بادئ الأمر.

- لكن معظم زبائن هذا المقهى من

حراس الماشية و أنا أعرف أن

أخلاقهم رفيعة و تصرفاتهم مدروسة.

- ليس هذا ما أقصده. لكن الظاهر

نسيت بأنني نصحتك عدم معاشرة

رفاييل.

- لا, بل أتذكر تماماً. أنت مخطئ

بحقه. لقد أمضيت معه سهرة رائعة,

إلى أن وصلنا إلى المقهى.

أمسكها جيرفيه بكتفها بعنف و قال

بخشونة:

-آه صحيح! لكن هذا لن يتكرر...

و أصر على ذلك. ما دمت تعيشين

تحت سقفي, فستحترمين رغباتي, يا

صغيرة. و الآن, إلى فراشك. القضية

انتهت و أقفل الموضوع. ولا أريدك

أن تحدثيني بهذا بعد الآن, اطلاقاً.

ثم خرج و اختفى في الظلام.

لا جيرفيه ولا رفايل ظهرا على

مائدة الفطور صباح اليوم التالي, ولم

تتجراً جوسلين أن تسأل الحراس إن
كان رفايل قد عاد إلى المزرعة مساء
أمس، و كانت تخشى أن تلاحظ
كاميليا ملامح الأرق في عينيها
المرهقتين بعد ليلة بيضاء، لكن المرأة
كانت منهمكة بالحديث عن مزرعة
آل دورانس ولم تلاحظ وجه الفتاة
الشاحب و جفنيها الحمراوين. انما
كانت تقول:

-انها حقاً مزرعة رائعة, يا جوسلين.
لو كان الأمر مشابهاً هنا, لقبلت
العيش بكل سرور. لكن المكان
بحاجة إلى انسان ذواقه و مرهف كي
يصبح جنة و روعة.

-وهذا المكان بحاجة إلى المال
ليصبح ما تحلمين به يا كاميليا.
-جيرفيه يملك المال. و يملك أيضاً
أفضل ثيران المنطقة. لا شك أنه

مرتاح من الناحية المادية, مع أنه لا يبدو هكذا. الله وحده يعرف ماذا يفعل جيرفيه بأمواله الطائلة. حتى جان-مارك نفسه لا يفهم لماذا أخوه اقتصادي إلى هذه الدرجة.

سألت جوسلين لتغير الحديث:

- هل سيلين الفتاة الوحيدة لوالديها؟

أليس لها أخ؟

-انها وحيدة, والدها تجاوز الستين
من عمره ولا شك أنه تزوج في سن
متأخرة. انه رجل لطيف جداً.. و
ذكرني بالمثل المشهور, موريس
شونالييه, لكن للأسف, اصيب العام
الماضي بدجة قلبية, و سيلين قلقة
على صحته كثيراً.

و قالت جوسلين لنفسها: " لا تملك
سيلين، الجمال و المهر, فحسب،

إنما ذات يوم، ستملك مزرعة والدها
كلها. لهذا السبب لا يريد جيرفيه أن
يصرف فلساً واحداً على مزرعته".
شعرت بالاشمئزاز و القرف... ليس
اتجاهه، بل اتجاه نفسها، لمجرد تصوره
قادراً على مشاريع حقيرة كهذه.
ثم قالت لنفسها بخجل: " لو كنت
أحبه حقاً، لما فكرت هكذا، بل
لكنت وثقت به و آمنت به و

صدقته. و إذا كان هذا الشعور
الداخلي ليس حباً, لماذا أتعذب إلى
هذه الدرجة؟ لماذا تبدو حياتي بلبلة
حقيقية؟ لماذا وصل بي الأمر أن
أخشى العودة إلى انكلترا؟"
خلال فترة الصباح, اصرت العجوز
أن تنهض من سريرها, مع العلم أنها
لم تشف بعد نهائياً. لكن جوسلين
أصرت على المواصلة في القيام

بالأعمال المنزلية الصعبة, فقالت لها

العمة:

— أنت فتاة طيبة, يا جوسلين. لدى

وصولك إلى هنا, لم أنظر إليك نظرة

جيدة, بعدما رأيت ملابك الأنيقة و

الطلاء على اظافرك. لكنك برهنت

بأنك فتاة مسؤولة و ستصبحين في

المستقبل امرأة قادرة. يا الأسف,

فكاميليا لا تشبهك!

أجابت الفتاة بهدوء:

—انها تحب ابن أخوك و تحمل ولده.

ليس مجرد أن تتقن الزوجة الطهي،

تكون زوجة جيدة، يا سيدتي.

زمت العجوز شفيتها وقالت:

—ربما. لكن واجب المرأة أن تطعم

زوجها و تغذيه جيداً. عندما كانا

يسكنان في مدينة آلرز، كان جان—

مارك رجلاً جائعاً. فهو ليس مثل

جيرفيه بصحة متينة. انه سريع
العطب منذ صغرة. حتى السابعة من
عمره, كان يعاني من الربو أمضيت
الليالي الطويلة أسهر عليه. أحياناً
كان يصح أزرق حتى الموت. سأريك
احدى صوره.

تناولت العمة صورة من دولابها و
قالت وهي تشير إلى الرجل الضخم
فيها:

-هذا هو زوجي!

كانت العمة في الصورة جالسة على

كرسي, تلف ذراعها حول كتف

صبي يتكى عليها.

-وهذا هو جان-مارك أترين كم هو

نحيل. كان في العاشرة من عمره بينما

يبدو في الحقيقة في السادسة.

لكن جوسلين كانت تنظر إلى وجه

الصبي الأكبر الواقف قربه. و

تساءلت لنفسها: " لماذا لم تضع
العمة ذراعها الثانية حول كتفه, بينما
هو متروك على حدة, عابس و
عدائي؟ بسبب جان-مارك و
مرضه, لم تجد له وقتاً؟ هل قساوته
ناجئة عن نقص في الحنان؟".
وبينما كانت جوسلين تكنس تحت
سريرها, لمحت ظلاً وراء نافذتها,
فصرخت مندهشة:

-رفاييل! آه, رفاييل, يا لوجهك

المسكين!

-لقد رأيت اسوأ من ذلك, يا

آنسة.

ثم قال بصوت منخفض:

-ذهبت إلى المطبخ لأتحدث معك,

فرأيت العجوز. أنا آسف لما حدث

مساء أمس. لا شك أنك غاضبة

مني. لكنني لم أتحمل اهانة العامل

لك و شتيمته الكبيرة.

—أنا لا ألومك, يا رفايل. لكن

جيرفيه غاضب جداً. هل رأيتَه؟

—نعم. أخرجني من السرير قبل

الفجر. وقال لي, بأنه, في المرة

المقبلة, إذا حصل معي شيء مماثل,

فسيطردي نهائياً من دون أي تردد.

-لكنه قال لي في الأمس بأنه

سيطردك اليوم نهائياً.

-آه, صحيح؟ ربما غير رأيه في

الليل. انه سريع الغضب حيال من

لا يطيعه. و هو في الوقت نفسه

رجل صادق. لقد سمح لي أن أشرح

له ما حدث, إذا اقترب مني أحد,

عليّ أن أتحاشاه و أبتعد. كما أمرني

أيضاً ألا أوجه إليك الكلام أبداً.

اختفى رفاييل من وراء النافذة حين
دخلت كاميليا إلى غرفة جوسلين.
وما ان انتهت الفتاة من تنظيف
غرفتها, توجهت لتنظيف غرفة
جيرفيه, الغرفة الوحيدة التي تجاهلت
الاعتناء بها منذ أن حلت مكان
العمة. وها هي تدخلها للمرة
الأولى, بإلحاح, عليها تجد فيها تفسيراً
لشخصيته المحيرة.

كانت الغرفة تحتوي على سرير ضيق
يقع تحت احدى النوافذ. أحد
جدرانها مليء بالكتب و بعض صور
الخيل و القطعان. على الجدار
المواجه، تعلقت لوحة زيتية تمثل
قطيع أحصنة بيضاء تجتاز فوق
مستنقع صغير. لم تكن الغرفة وسخة
أبداً. و الظاهر أنه يحافظ على
نظافتها بنفسه. كما لاحظت الفتاة

بأن الرجل يجيد تقطيب الأزرار و

رتق ملابسه و تصليحها.

فجأة لفت نظرها صورتان, على

طاولة قرب السرير. الأولى تمثل

زوجين متعانقين: الرجل يشبه جيرفيه

و المرأة تشبه جان-مارك. عرفت في

الحال أنها صورة والديه. أما الصورة

الثانية كانت تمثل سيلين دورانس,

وهي واقفة قرب نافذة, ترتدي ثوباً

أسود, ضيقاً, يظهر كل تفاصيل
جسمها و قامتها الجميلة. تبدو
ناعمة, بعينيها الثاقبتين و ابتسامتها
الساخرة.

" ربما يحبها جيره حقا. ربما لم
يطلب يدها بعد لاعتقاده بأنها ما
تزال تحب أخاه. هل يجهل بأنها لم
تكن تحب جان-مارك، انما تحبه هو؟

أليست هذه الصورة برهاناً لحب

جيرفيه؟"

وضعت الفتاة الصورتين مكانهما

لدى سماعها خطوات في الممر. لكن

جيرفيه ظهر على عتبة باب غرفته

قبل أن تتمكن من جمع معدات

التنظيف و الخروج. بدا منزعجاً

لرؤيتها داخل غرفته, فأحمر وجهه

الفتاة. قال لها:

-لست بحاجة لتنظيف غرفتي. فأنا

أفضل أن أنظفها بنفسني. لا أحب

رؤية أغراضني في غير محلها.

-آسفة جداً, لم أكن أعرف ذلك. لم

ألمس شيئاً على كل حال.

كان يمسك باب الغرفة مفتوحاً و

ينتظر رحيلها, لكنها همست تقول:

-اشكرك لأنك غيرت رأيك بما

يختص برفاييل.

-هل تحدثت معه؟

كذبت و قالت:

-كلا, لكنني رأيتته من نافذة

المطبخ, و أدركت بأنك غيرت

رأيك.

-هل هذا يهمك إلى هذه الدرجة؟

-كنت انزعجت كثيراً لو خسرت

رفاييل وظيفته بسببي.

-آمل أن تحتفظي بسرية أكبر في

المستقبل.

ثم أغلق الباب وراءها.

في المساء, حمل جان-مارك رسالة

إلى جوسلين من الطبيب بيشوب,

يقول فيها:

"عزيزتي جوسلين،

بعد تفكير عميق, لم أر مانعاً من

بقائك مع كاميليا حتى مولد الطفل,

أو لشهر اضافي أيضاً, إلى أن
تستعيد عافيتها و نشاطها, لقد
اشتقنا جميعاً إليك كثيراً. لكن, ما
دمت لم تتخذي قراراً بعد بخصوص
مستقبلك, فلماذا لا تغتني فرصة
وجودك في فرنسا و تحسني لغتك
الفرنسية؟ هذا سيساعدك على
الحصول على وظيفة مهمة لدى
عودتك. أعتقد أنك صرفت كل

مالك, لذلك أرسل إليك هنا طيه
بعض الشيكات...".

و تحتوي بقية الرسالة على أخبار
الوطن و البيت و القرية, و على
كلمة من إليزابيث، زوجة والدها
الجديدة. و لما قرأت جوسلين هذه
الرسالة أمام ابنة عمها، قالت لها
كاميليا:

-هل رأيت؟ والدك يرى بأن عليك

البقاء معي حتى آخر المطاف.

-نعم, رأيت. لكن، ربما عائلة

زوجك تفكر بطريقة مختلفة. تذكرني

بأنني ضيفة عندهم.

-لا يجروُ أحد على طردك من هنا،

بعد كل الذي فعلته من أجلهم.

- لم يطلبوا مني شيئاً. أنا قدمت

خدماطي، بملء ارادتي و بطيبة

خاطري.

- كما وفرت عليهم كثيراً. لولاك

لا استخدموا امرأة غيرك و دفعوا لها

أجرة خدمااتها. اذن، عديني أن تبقي

شهرأ على الأقل، بعد ولادة الطفل.

- حسناً، أعدك. إذا ليس لعائلة

سانتون مانعاً بذلك.

بعد الحديث مع جوسلين, قالت

السيدة سانتون بحماس:

— سأكون مسرورة جداً إذا بقيت, يا

ابنتي. أنا بحاجة لمساعدتك عند

ولادة الطفل. فأنا لم أعد شابة و

هناك غسيل كثير.. أحياناً أفكر

بفارغ الصبر باليوم الذي يتزوج فيه

جيرفيه و يجلب لنا زوجة تأخذ عني

كل هذه المسئوليات. لقد عشت

حياة قاسية و أرغب في الراحة قبل
أن أموت.

هذه الكلمات شجعت جوسلين
على السؤال:

- لماذا لا تجلبين محركاً كهربائياً، يا
سيدتي؟ بواسطة ستخف أعمالك.
- غالباً ما نصحني جيرفيه بذلك،
لكنني كنت أتدبر أمري من دونه.
ومنذ أربعين سنة و أنا أعيش بلا

كهرباء. الآن أصبحت عجوزاً و لا
أستطيع تغيير عاداتي. طبعاً ستحصل
تغييرات عديدة متى تزوج جيرفيه,
لكن في الوقت الحاضر أفضل
التعامل مع الوسائل و المعدات
التقليدية. جيرفيه يصرف أموالاً كثيرة
و لا يريد الاعتراف بذلك. لكنني
أعرف بأنه دفع مصاريف المستشفى
لمعالجة طفل آل لورانس المعاق, وما

زال يعيل ارملة هنري لوماتر, و
يدفع مصاريف الدراسة الموسيقية
لابنها في باريس. أنا مقتنعة بأن
جيرفيه يبالح كثيراً بكرمه الحائمي,
لكنه يرفض أن يصغي إلي. انه تماماً
مثل والده. باستطاعته أن يهب
قميصه إذا ما احتاج الأمر لذلك.
خرجت الفتاة من غرفة العممة
متسائلة كيف ستكون ردة فعل

جيرفيه عندما يعلم بأن جوسلين لن

تسافر مباشرة بعد الاحتفال بعيد

السيدة سارة.

في اليوم التالي، توالى القوافل و

الشاحنات في عبور الطريق التي تبعد

مسافة 800 متراً عن مزرعة آل

سانتون. و كالعادة، قبل يومين من

الاحتفال السنوي، تكتظ جميع

طرفات منطقة الكامارغ بدوي

البشرة السمراء, الذين يريدون

الاحتفال بسيدة البحار.

وقبل أن يذهب جان-مارك إلى

مدينة آلرز, مركز عمله, قال

لجوسلين:

-الجمهور سيكون من هب و دب.

بعضهم من فناني السيرك المشهورين,

و البعض الآخر من الفنانين المزييفين

الذين يتسولون للعيش. قبل الحرب,

كانوا يأتون من جميع أنحاء أوروبا.
لكن الآن, هناك الستار الحديدي, و
معظم الذين يأتون اليوم إلى هذا
الاحتفال من اسبانيا.

في ذلك المساء و بينما كانت
جوسلين و العمة منهمكين في تحضير
الطعام, ظهرت بصارة غجرية على
عتبة باب المطبخ, فدعتها العمة إلى
الدخول و قدمت لها القهوة و

أرسلت جوسلين لإحضار كاميليا و
جان-مارك.

أخبرت الفجرية كاميليا بأنها ستلد
صبياً يتبعه بعد سنتين صبي آخر. ثم
أضافت تقول:

-لديك موهبة، يا سيدة. و إذا
عرفت كيفية استعمالها، فستسعدين
في حياتك. و تربيين الأموال

الطائفة. الماضي مضى و عليك

البدء بالتفكير في المستقبل.

اندهشت كاميليا وقالت:

—موهبة؟ ماذا تعني بذلك, يا ترى؟

ثم راحت العجيرة تقرأ خطوط يد

العمة. فدخل جيرفيه في تلك الأثناء

و اتكأ على حائط المطبخ لسمع

تنبؤات البصارة و هي تقول للعممة

بأنها ستعيش عمراً طويلاً و ستظل

محترمة من قبل الجميع. ثم قال

جان-مارك:

-دورك الآن, يا جوسلين.

-لا, لا أريد!

الجميع قالوا معاً, بصوت واحد, ما

عدا جيرفيه:

-بلى, بلى.

كادت تستسلم حين قال جيرفيه

للغجرية:

–الفتاة الانكليزية لا تؤمن بقراءة

الكف, يا جدتي.

أشارت البصارة لجوسلين أن تجلس

قربها, ثم قالت:

–اذن, أنت تشكين في الأمر, يا

آنسة, لكنك فتاة عاقلة جداً,

بالنسبة إلى عمرك. صحيح بأن

معظم البصارات مزيفات, لكن أنا,

أدعى ماريا بيسارورا, ولديّ موهبة لا

تخطئ. ستتذكرين ما سأقوله لك.

أعطني يدك, يا ابنتي.

ظلت العجرية لدقائق صامتة تنظر

إلى يد الفتاة التي بدأت تشعر

بالانزعاج. أخيراً رفعت البصارة

رأسها و قالت:

—ماتت والدتك عندما كنت ما

تزالين صغيرة, و الآن حلت مكانها

امرأة أخرى في حياة والدك, و

أصبحت زوجته. ولم يعد أحد بحاجة
إليك هناك. لقد حان لك أن تختاري
رجل حياتك و تبدئين حياة جديدة.

قالت كاميليا باستغراب:

-لكن, هذا كلام صحيح.

قطبت البصارة حاجبيها, منزعجة,

ثم ضغطت على يد الفتاة و

أغمضت عينيها بضعة لحظات, ثم

قالت:

-أرى في حياتك رجلين. أحدهما من جنس آخر, وبينكما حواجز عديدة. إذا اخترته ستلاقين صعوبات, لكنك ستعرفين معه السعادة الكبرى في الوقت نفسه. وهناك في الجهة الأخرى من البحر, رجل آخر. معه, تعيشين حياة هادئة, لا يشوبها أي اضطراب و توتر. إذا كان هذا ما تطمحين إليه, فعليك اختيار هذا

الرجل... انما الرجل الغريب, الأسمر
القاتم، هو الذي سيعرفك على نيران
الحب. فكري جيداً، يا ابنتي. أنا
أعرف على من سيقع اختيارك, لكن
ليس باستطاعتي أن أقول. القرار
متروك لك, وحدك.
حين رحلت الفجرية, قالت كاميليا
لجوسلين:

-الرجل الذي سيعرفك على نيران
الحب سيكون فرنسياً, يا جوسلين.
و ستتعرفين عليه في العيد.

-لا تكوني حمقاء يا كاميليا. هل
تصدقين مثل هذه الخرافات. أنا لا
أصدقها كل ما سمعته دخل من اذن
و خرج من الاذن الثانية.

سألها جيرفيه في الحال:

-هل انت أكيدة من ذلك؟

رمقته الفتاة بنظرة خاطفة، فتقلصت

يदाها أمام تعبير وجهه، وتساءلت

بوجه ممتقع: "هل يعرف ماذا أشعر

تجاهه يا ترى؟".

ثم أجابت قائلة:

—تماماً. لم أصدق كلمة واحدة مما

قالت.

قال وهو يهز كتفيه:

- من السهولة التأثير بما يقوله الفجر.

و فتيات جيلك لديهن أفكار
رومانسية. لكنني لا أعتقد بأنك
ستلتقين رجل حياتك في العيد.
فالرجل الانكليزي هو لك, يا
صغيرة.

ضحكت كاميليا وقالت:

- أهذا الرجل وجود, يا جوسلين؟

- آه, هناك أكثر من واحد...

لكن قلبها تجمد, لأنها فهمت ما
قاله جيرفيه. يريد أن يشير لها من
طرف خفي أن تنسى عواطفها تجاهه
إن كانت لها عواطف...

????

نهاية الفصل الخامس

6- عيد بأي حال عدت يا عيد...

لم تستطع جوسلين الصمود في الليلة

الأولى وفي الليلة الثانية اكتشفت

حقيقة أذهلتها وعادت في جيب

رجراج إلى المزرعة...

في اليوم التالي, عشية العيد, قالت

كاميليا:

-تعرفين, يا جوسلين, فكرت كثيراً

بما قالته البصارة عني. انها على حق,

نعم, لديّ موهبة. لن يصبح جان-

مارك أبداً رجلاً ثرياً, لأنه ليس من

النوع الوصولي. بل أنا من سيربح

الأموال الطائلة.

- كيف؟ في مجال الموضة النسائية؟

- كلا، في الديكور الداخلي،

تذكرت ما قلته عن مزرعة آل

دورانس وكيف هي منظمة.

فديكورها مأخوذ عن الأسلوب

الانكليزي الريفي. وحسب رأي

سيلين، الأثاث الانكليزي ذو شهرة

كبيرة في هذا العصر. هكذا, عندما

نستقر في مرسيليا, سأفتح مخزن

ديكور : كاميليا و شركاؤها... ما

رأيك؟

-هل نسيت بأنك مقبلة على تربية

طفل رضيع؟

-آه, بإمكانني أن أوظف خادمة و

مربية أطفال. لا تبدئي بإرشادي,

فأنا لست من نوع الأمهات اللواتي

يدلن أولادهن. صحيح سأكون
فرحة بأن أصبح أماً, لكنني لا أريد
أن أكرس لولدي كل وقتي. في
الحقيقة أرى رضاعة الطفل أمراً غير
ضروري, هل صدمتك كلماتي؟
-ستغيرين رأيك عندما تنجبين
طفلك.

-ربما. لكنني أشك بذلك. في كل
حال, من الممكن للمرأة ان تكون

أماً صالحة حتى و لو عملت خارج
المنزل في الوقت نفسه. وهذه حال
معظم نساء اليوم.

- لكنك لست مهنية أو حرفية! و

من سيهتم بالمحاسبة؟

- آه, جان-مارك, في المساء, إلى أن

يصير بإمكانني توظيف محاسب دائم

اختصاصي. أما من الناحية

الديكورية البحتة, فأنا متأكدة بأن

ذوقي في هذا المجال جيد و رفيع.
عيناى تريان الألوان المناسبة بدقة و
ذكاء. شقتى السابقة صممتها
بنفسى, و نالت اعجاباً كبيراً لدى
جميع اصدقائى.

–نعم, معك حق. أنا موافقة على
النجاح. لكن من أين لك المال, يا
كاميليا؟ من دون رأسمال معين
المشروع مستحيل.

-لدي من المال ما يكفي لاستئجار
مكان واسع و شراء المعدات
الأولية, بانتظار أن أبدأ بالكسب و
الادخار.

-وهل ناقشت هذا الأمر مع
زوجك؟

-آه، نعم. أمضينا نصف الليل في
الحديث عن هذا المشروع. و جان-
مارك موافق. لم يذهب إلى عمله

اليوم بل فضل الذهاب إلى مرسيليا

للبحث عن شقة مناسبة لنا.

عاد جان-مارك بعد الغداء، عندما

كانت جوسلين و كاميليا جالستين

في ساحة المنزل. دخلت الفتاة إلى

المطبخ لتحضر له كأس ليموناضة،

ولما عادت قالت لها ابنة عمها

بحماس:

-وجد جان-مارك ما نتوق إليه يا
جوسلين! منزل قرب الساحة العامة.
في الطابق الأرضي سيكون محلي،
القبو مستودع، و نسكن في الطابق
الاول.

سألت جوسلين الرجل:

-هل المبنى بحالة جيدة؟ وهل الايجار
معقول؟

- ليس المبنى في حال جيدة كما
يجب. لكن كاميليا تصر على السكن
في وسط المدينة. الايجار ليس عالياً,
لأن الطلاب قديم و المنزل بحاجة إلى
تصليحات عدة. فتشت كل انحاء
مرسيليا و لم أجد مكاناً آخر قرب
المحلات و المقاهي.

- ولماذا لا تفكران بالضحية؟

هتفت كاميليا تقول بحدة:

-لا, لا. يجب أن نسكن في حي
جيد و هذا أمر أساس و حيوي. لا
أهمية ان كان وضع المنزل سيئاً, يا
حبيبي. فسنقوم بالتصليحات
الضرورية و نزينه على ذوقنا. بعد
ذلك لن نستطيع المالك أن يتعرف
إليه.

- لكن هناك مسألة التأمين. علينا أن

ندفع مبلغاً قيمته مئة ألف فرنك،

ونحن لا نملك هذه القيمة.

قالت كاميليا بهدوء:

- بإمكاننا أن نطلب من جيرفيه

مساعدتنا. هذا أقل ما يستطيع فعله

من أجلنا. فهو لا يدفع لك فلساً

واحداً من مدخول المزرعة.

- لكنني لا أعمل في المزرعة, يا
حبيتي ولا سبب لكي يدفع لي
شيئاً. الا يكفي أنه يؤويننا و يطعمنا؟
- لكن المزرعة ملكك كما هي ملكه.
- جيرفيه الصبي البكر, و هو الذي
ورث المزرعة. لو لم يشتري الماشية
من جديد, بعد الحرب, لما ملكنا
شيئاً الآن.

قالت جوسلين مقترحة:

- لكن بإمكانك أن تطلب قرضاً من

المصرف.

- لا حاجة للمصرف من أجل مبلغ

ضئيل كهذا. جيرفيه سيساعدنا. أنا

سأحدثه بالأمر شخصياً إذا رفضت

يا جان-مارك ان تقوم بالمبادرة هذه

بنفسك.

- لا تبكي, يا حبيتي. هذا يضر

الطفل. اطمئي سأحدث جيرفيه

بالأمر.

- هل تعديني بذلك؟ نحن في حاجة

إلى هذا المبلغ من المال في الحال. إذا

تأخر, سيستأجر المكان أحد غيرنا.

غضبت جوسلين من ابنة عمها و

فضلت الدخول إلى المنزل. غسلت

شعرها و خرجت تجففه في الشمس,

و جدت جان-مارك وحده فقال لها

بأن زوجته تنام في غرفتها. بدا لهم

كثيفاً على وجهه, فقالت له

جوسلين:

-اسمعي جيداً, يا جان-مارك. منذ

أن جئت إلى هنا, لم أصرف المال

الذي أملكه. و أريد مساعدتكما,

أنت و كاميليا.

احمر وجه الرجل و أجاب بنخجل:

- لا, لا. هذا لطف منك, لكن لن

أسمح بذلك. لا تقلقي علينا,

أرجوك. لقد وجدت حلاً.

- من دون أن تطلب من جيرفيه

مساعديك؟

- تماماً. لست خائفاً أن يرفض

طلبي, لكنه دائماً كريم معي, و أنا

اليوم زوج و يجب أن أتحمل

مسئولياتي وحدي.

- هذا أمر طبيعي, يا جان-مارك.

لكن ما هو الحل؟ ماذا ستفعل؟

- لا تخافي, سأجد حلاً.

تذكرت جوسلين بأن الرجل وعد

زوجته عدم الاشتراك في سباق

الثيران الحر, فنظرت إليه متشككة و

سألته:

- هل تنوي كسب هذا المبلغ من

المال؟ أقصد تريد ربحه؟

من اندهاشه, ادركت أنها أصابت

جيداً, فتابعت تقول:

—آه, لا, يا جان—مارك وماذا لو

أصبت بجروح خطيرة؟ النفقة تفوق

الثمن.

قال الرجل مبتسماً:

—لكن, ليس في الأمر أي مخاطرة, يا

صغيرتي. لا تخافي, لن أصاب بجروح.

في مدينة آلرز, سباق حركبير بعد

ثلاثة أيام. إذا حالفني الحظ, سأربح

المال الكافي لدفع التأمين و شراء

بعض الأثاث.

-و إذا لم يحالفك الحظ, ربما تجد

نفسك في المستشفى. من زمان ولم

تتمرن, و الخطر موجود, لا تقل

العكس. آه, أرجوك, يا جان-مارك,

كن متعلقاً. سيجن جنون كاميليا إذا

عرفت بالأمر.

-لن أخبرها... و أنت أيضاً. هذا

سرنا, يا جوسلين. أقسمي لي بالألا

تخبري أحداً بالأمر.

-حسناً. أعدك بذلك. لكن بنظري,

هذا التصرف من قبلك جنوني. هل

ستقول لكاميليا بأن جيرفيه هو

الذي أعطاك المال, في حال رجحت

المباراة؟ ربما تذهب و تشكره و

يفضح أمرك.

- كلا, سأطلب منها ألا تفتح
الموضوع معه, لأن مثل هذه القضية
من شؤون الرجال فقط.
قبل العشاء, التقت جوسلين بجان-
مارك في الممر, فقال لها:
- تحدثت مع جيرفيه عن مشروعنا
الجديد, فاعتبرنا مجنونين, زوجتي و
أنا, لكنه لا يستطيع منعنا.

بعد العشاء. ذهبت جوسلين إلى
الساقية. و للمرة الأولى منذ مجيئها,
ترى السماء ملبدة بالغيوم الكثيفة
السوداء و تسمع الرعد يعصف من
بعيد. كان الجو ثقيلًا ولا نسمة في
الأفق.

جلست على الجسر الخشبي و
خلعت صندلها و وضعت رجليها في
الماء. في هذه الأثناء يجري الاستعداد

للعيد. أما هي, فأصبحت جاهزة
تقريباً: كوت فستانها و فستان
كاميليا و لم يبق سوى تجعيد شعرها
قبل الايواء إلى النوم.
بعد قليل, لمحت جيرفيه يخرج من
المزرعة و يتجه نحوها. ماذا يريد؟
احمر وجهها لدى تذكرها كلماته
بالأمس. لكن كيف عرف بانها
وقعت في حبه؟ ما الذي قالته أو

فعلته, حتى فهم حقيقة مشاعرها؟ لو
كان فعلاً عالماً بكل شيء، و يرى ما
يدور في ذهن وقلب الآخرين, لماذا
لا يرى اذن بأن سيلين تحبه كثيراً؟

عندما اقترب منها, سألته:

-هل ستمطر غداً, حسب رأيك؟

-ربما... دائماً تمطر أثناء العيد. ربما

تهب العاصفة في الليل, و قد يكون

الطقس جيداً.

-آه, آمل ذلك, و إلا فسد العيد.

لم يرد عليها, فأخرجت قدميها من

الماء و بدأت تجففهما بمنديلها,

فجأة, سأها:

-لم تأكلي شيئاً تقريباً, خلال

العشاء, و هذا ليس من عادتك.

هل هناك شيء على غير ما يرام؟

-لم أكن جائعة, بكل بساطة.

-هل أنت قلقة يا ترى بسبب أفكار

ابنة عمك الجنونية؟

انتعلت صندلها و أجابت:

-لا, أبداً.

-هل تشجعينها على مشروعها

الجديد؟

-لا دخل لي في الأمر. الفكرة

فكرتها و الأمر يتعلق بها.

نهضت الفتاة بغية العودة إلى المنزل,

لكنه قام بخطوة إلى الامام وسد

عليها الطرق و قال:

-لنقم بنزهة قصيرة. أريد أن

أحدثك.

أجابته بلؤم:

-رغباتك أوامر, يا سيد سانتون.

-المعدرة.

ثم انحنى و قال:

-آه, ربما كان من المفروض أن
أسألك, هل بإمكانني الحصول على
شرف رفقتك الرائعة؟
صرفت الفتاة بأسنانها و مشت
بخطوات واسعة, ثم خفت سرعتها,
فقال لها:

-اذن, قررت تمديد فترة اقامتك,
على ما سمعت؟

-نعم, بعد أن حصلت على اذن من

عمتك, طبعاً. هل تجد في ذلك

مانعاً؟

-أبداً. لكنني أفضل أن تعودني إلى

انكلترا, مباشرة بعد ولادة الطفل.

فقلت بصوت متوتر خفيض:

-آسفة إذا كان وجودي هنا

يزعجك.

انغلقت يد جيرفيه على كتفها, و
أرغمها على التوقف عن المشي و
النظر إليه مواجهة. دوى الرعد عن
قرب, و لمع نور غريب فوق السهل.
تكهرب الجو ثم قال جيرفيه بانزعاج:
- لا تكوني حمقاء. ليس هذا ما
أقصد قوله. ألا ترين ماذا سيحدث
ان بقيت؟ ستستغل ابنة عمك
وجودك لتستخدمك... في البداية

الطفل... ثم مشروع مرسيليا. فهي
لا تتكلم الفرنسية و كيف
باستطاعتها القيام بمثل هذه
الأعمال؟ هل تعتقدين بأن كاميليا
قادرة على جعل المنزل صالحاً
للسكن؟ كلا, أنت من سيفعل
ذلك. ستنظفين و تطهين و تهتمين
بالطفل. تبا للشيطان! أنت تعرفينها,

أليس كذلك؟ و ترين كيف هي

أنانية؟

صرخت الفتاة بوجهه قائلة:

- كيف تجرؤ! أتركني! رأيك لا يهمني

اطلاقاً, يا سيد سانتون. أنت, ربما

تدير نصف منطقة الكامارغ, لكن

أنا, ليس من واجبي أن أتلقى الأوامر

منك.

حاولت التخلص من قبضته. في
تلك اللحظة, لمع البرق في السماء.
وعلى بعد عشرة أمتار منهما.
اشتعلت شجرة عرعر. فوجدت
جوسلين حالها بين ذراعي جيرفيه.
هل هو الذي تحرك نحوها أم هي؟ أو
أنه انجذاب بدائي قذفهما عنواً إلى
ذراعي بعضهما البعض؟

عصف الرعد و بدأت قطرات المطر

الأولى تتساقط. وبعد دقيقة, بدأ

الطوفان.

لا فائدة من الاختباء أو الالتجاء إلى

مكان واق, بثوان معدودة, اصبحا

مبللين حتى العظام, وتحولت الطريق

المغبرة إلى مستنقع.

امسكها جيرفيه بذراعه و اتجه بها

نحو المزرعة. لولاه, لوقعت أرضاً.

بسرعة, امتلأت ركبناها وحلاً. لما
وصلا أمام الباب, بدأ المطر يخف.
عندما دخلت إلى المطبخ, صرخت
كاميليا قائلة:

- يا إلهي! شعرك... صندلك...
قال جيرفيه لكاميليا بلهجة آمرة:
- اذهبي و أحضري مئزراً و منشفة,
من فضلك.

ثم دفع جوسلين إلى الكرسي و انحنى
ليخلع صندلها الموحل, بينما كان
جان-مارك يساعد عمته في ملء
المغطس بالماء الساخنة, ويقول
مبتسماً:

-رأيتكما عائدين. ماذا كنتما تفعلان
خارجاً؟ كان عليك, يا جيرفيه, أن
تعرف بأن العاصفة قريبة.

تجاهل الأخ هذه الملاحظة ثم ساعد

الفتاة على الوقوف ثم حملها و

وضعها على المجلى وقال:

- يجب أولاً نزع هذه الأوساخ عن

رجليك قبل أخذ الحمام.

وراح يغسل رجليها و قدميها

الموحتين. ولما جهر المغطس و امتلأ

بالماء الساخنة, انسحبت العمة و

جان-مارك من الغرفة. عادت

كاميليا و رفعت حاجبيها مصدومة
أمام ما رآته, لكنها لم تجرؤ على قول
شيء.

عندما نظفت قدما جوسلين, أعادها
جيرفيه إلى الأرض و أمرها قائلاً:
- و الآن, إلى المغطس. و أنا ذاهب
لأستحم في حمام الرجال.

لما خرج, نزعت الفتاة ملابسها و
دخلت في المغطس القديم, تتمتع

بسخونة الماء. شعرت بالاسترخاء و
أغمضت عينيها لتتذكر اللحظات
التي أمضتها بين ذراعي جيرفيه. ثم
تذكرت عراكهما وما قاله عن كاميليا
و أومأت رأسها وهي تقول لنفسها:
" انها الحقيقة, طبعاً... لكن ماضي
كاميليا, ألا يبرر أنانيتها الشديدة؟".
كانت قد ارتدت ملابسها و جففت
شعرها, عندما طرق جيرفيه الباب.

رفعت الفتاة شعرها إلى الورااء و

قالت:

-نعم.. بإمكانك الدخول الآن.

كان يرتدي ملابس نظيفة و حذاء

جديداً. شعره الرطب يلمع مثل

ريش الغراب. قال لها:

-و الآن, سأعد لك الشاي

الساخن. فلا أريدك أن تلتقطي برداً

و تمرضي.

- لا ضرورة كي تعاملني مثل فتاة

صغيرة, يا سيدي.

بعد قليل حمل فنجانين مليئين شايًا,

وضع واحداً على طاولة قربها, ثم

قال:

- اشربي, ستهدأ أعصابك.

- أعصابي هادئة.

جرعت الفنجان و أحست بالدفء
والارتياح, ولما انتهت, سألته بصوت

بارد:

-والآن, هل بإمكانني أن أذهب إلى

فراشي و أناام؟

-نعم, سننهض باكراً, صباح غد,

نامي جيداً, يا صغيرتي.

رمقته بنظرة صاعقة, ثم أدارت له
ظهرها, فقال لها قبل أن تختفي عن
الانظار:

-ماذا تعتقدين بإمكانني فعله إذا لم

تطيعي أوامري؟ هل تخافين أن

أعاملك كامرأة؟

سمعت ضحكته حتى وصلت إلى

غرفتها.

عندما استيقظت جوسلين في صباح
اليوم التالي, كانت السماء زرقاء.
أفاق الجميع, الساعة لم تتجاوز بعد
السادسة.

بعد الفطور, ركب الحراس خيولهم,
يعتَمرون أجمل قبعاتهم و يرتدون
ستراتهم المخملية السوداء و
سراويلهم القطنية الجميلة في
التاسعة, صعدت السيدة سانتون في

عربة صغيرة, برفقة أحد الحراس و
زوجته. في الحادية عشرة صعدت
كاميليا و جوسلين في سيارة جان-
مارك.

أما جيرفيه فلم يظهر أبداً. قال
جان-مارك بأن أخاه ذهب باكراً
لتفقد قطيعه مع رجلين من حراسه,
ولا شك أنه تأخر بسبب شيء غير

متوقع. لكنه أضاف يقول باقتناع

داخلي:

– غير أنه سيصل في الوقت المحدد

لحضور الموكب.

و في هذا الأحد من أواخر أيار (

مايو)، كانت المدينة تعج بالحركة

وتبدو كقلعة محصنة، يتهافت إليها

السياح و الحراس و الغجر.

القيثارات الاسبانية تعزف الموسيقى

الشعبية الحماسية, بائعو الحلوى
يصارخون بأعلى أصواتهم, ترويحاً
لبضاعتهم. راقصو الفلامنغو ولاعبو
الروليت... و أولاد يتسولون
الدراهم لشراء الكارامبولا و الحلوى.
و ككل سنة, حجزت عائلة آل
سانتون صالوناً خاصة لها في أحد
المطاعم الضخمة, لتناول الغداء مع
آل دورانس و عائلة أخرى.

من السيارات حتى المطعم, بالكاد
استطاعوا اختراق الازدحام الكثيف.
و بدت كاميليا على شفير البكاء.
فقال لها زوجها:

- ما كان يجب عليك حضور العيد
هذه السنة, يا حبيتي. كنت بقيت
معك في المزرعة بكل طيبة خاطر.
- لا, أريد المجيء. أكره أن أكون
مرفوضة.

وصل الجميع إلى المطعم, ما عدا
جيرفيه. كانت سيلين ترتدي فستاناً
تقليدياً واسعاً, ضيق الأكمام, من
القماش الحريري السميك الأصفر
اللون. الصدر مطرز بالدانتال
الأبيض و شعرها مرفوع كعكة و
مزين بتاج صغير من الدانتال و
المخمل الأسود. حول عنقها شريطة
سوداء مرصعة بحبات الماس البراقة.

كان الطعام مؤلفاً من البزّاق و
حساء السمك المتبل بالبهارات و
الثوم و الزيت, و قالب حلوى
بالبرتقال. كانت جوسلين جالسة بين
شابين من أبناء عائلة آل كولبير, و
تنظر إلى سيلين وهي تغازل الأبن
الأكبر, في الطرف الآخر من
الطاولة.

بعد الغداء, دعا صاحب المطعم

كاميليا أن ترتاح في الصالون

الخاص, فقال له جان-مارك

بإصرار:

- سأذهب معها. ابقِ مع الآخرين,

يا جوسلين. و إذا تمكنت من

اقناعها, سأوصلها إلى المزرعة باكراً.

بإمكانك أن تعودِ مع آل كولير,

إلا إذا قبل جيرفيه ايصالك بنفسه.

اسودت الساحة من كثرة الناس, و

بدأت الأجراس ترن في حوالي

الرابعة. بدا مستحيلاً الدخول إلى

الكنيسة لجمهور الاحتفال,

لاحتوائها على الفجر بكثرة.

فجأة ظهر تمثال السيدة سارة, يحمله

الرجال الراكبين فوق احصنتهم. في

حرس الشرف, لمحت جوسلين

جيرفيه, وبدا مثل فارس الأحلام.

بعد قليل اتجه الموكب نحو البحر و
علت الأصوات تنادي: " لتعش
السيدة سارة ! ". وضع التمثال في
الماء. أبركه القس, ثم جرت اعادته
إلى المغارة.

في هذه المعمة, أضاعت جوسلين
رفاقها, و ظلت تتسكع وسط
الازدحام باحثة عن وجه تعرفه.

و بينما كانت تستعد للعودة إلى
المطعم للاطمئنان عن كاميليا, رأت
من بعيد جيرفيه على حصانه. لم
تحاول لفت انتباهه بل ظلت تنظر
إليه, عندما توقف و انحنى ليهمس
في اذن شخص ما. بعد قليل رأت
سيلين بثوبها الأصفر, يحملها غجري
و يضعها على حصان جيرفيه, قربه.
تبتسم له وهو يحضنها بذراعه.

فجأة لم تعد تحتمل الحر و الزحام
اغرورقت عيناها بالدموع و دخلت
إلى المطعم. كانت كاميليا و جان-
مارك قد عادا إلى المزرعة, لكن
العمة و آل كولير ما يزالون هناك.
ولما طلبت منهم الفتاة اعادتها إلى
المزرعة, فوجئوا و قالت العمة
شارحة:

- بعد قليل, سيبدأ الرقص, وفي
المساء يصبح الجو أكثر مرحاً.
- لكنني أفضل العودة, فأنا متعبة
كثيراً.

- حسناً. سترين ما ينقصك اليوم, في
الغد.

سمعت صوتها الداخلي يقول : "
ربما, حين يأتي المساء, سيطلب
جيرفيه يد سيلين. سيرقصان معاً

تحت ضوء القمر, و سيضمها إلى
صدره ستضحك له. و يضحك
لها... ثم يختفيان على الشاطئ و ...
آه, كفى! لماذا هذا العذاب؟ لا
تفكري بهما. احييهما من عقلك.
هذا جنون, منذ البداية...".
في صباح اليوم التالي, وجدت
جوسلين صعوبة في العثور على عذر
مقبول للتمنع من حضور اليوم الثاني

من الاحتفال. و استاء جان-مارك

عندا اقترحت البقاء مع كاميليا

مكانه, فقال لها:

-لا... لا... من واجبي أن أبقى

معها. كيف اهو من دونها؟

-أظن بأن عليّ المكوث هنا, أنا

أيضاً, لدي احساس بأنها ستلد

اليوم.

سمع جيرفيه هذا الحديث, فقال:

- هذا مستحيل. موعد الولادة بعد

عشرة أيام.

- أجابته من دون النظر إليه.

- البكر يولد أحياناً قبل أوانه.

- في هذه الحال، عمتي باقية هنا و

تهتم بالأمر. يجب أن تأتي إلى العيد،

اليوم، يا صغيرة. ستذكرين هذا

النهار طيلة حياتك.

تشابكت نظراتهما. هل يريد تذكيرها
بأنها غريبة و لن ترى العيد إلا هذه
المرّة؟

—حسناً. سأتي.

—سأخذك في سيارة الجيب, لأن
عربة آل كولير لا تأخذ أكثر من
أربعة ركاب. و رفايل سيمتطي
حصاني " قيصر".

في العاشرة كانت جوسلين جاهزة.
ارتدت تنورة قطنية خضراء و قميصاً
توركوازيّاً. وفي الطريق, قال لها
جيرفيه:

-أمس, عدت باكراً جداً. أخبرني
عمتي أن الحر ضايقك. هل هو
السبب الحقيقي أم هناك سبب
آخر؟

-ماذا تعني؟

-لم أر رفاييل طيلة السهرة, ربما هو

أيضاً وجد الطقس حاراً لا يطاق.

-هل تصورت بأننا كنا على موعد

سري؟

-ما زلت أتساءل.

-آسفة لخيبة ظنك. لم أتكلم مع

رفاييل منذ... منذ اليوم الذي

أطلعتني فيه أنك لا تحبذ صداقتنا.

بعد قليل, سألته:

-هل تعتبر بأن جان-مارك مصارع

ثيران جيد؟

-نعم, لا بأس به.

-أليست المصارعة الحرة خطيرة

كالمصارعة العادية؟

-السباق الحر رياضة و لا يمكن

مقارنتها بمصارعة الثيران المعروفة. أنا

اشمئز عندما أرى ثيراناً جميلة, تعذبها

و تحتقرها كائنات حمقاء ترتدي بزات

العيد و الجوارب الحريرية. أنا لا أقبل

اطلاقاً تعريض ثيراني إلى مثل هذه

الوحشية.

- آسفة... فأنا لا أعرف شيئاً عن

هذا كله. لكن آل دورانس يدرّبون

ثيرانهم للمصارعة، أليس كذلك؟

- نعم، كغيرهم من أصحاب الماشية.

لكن الثيران الإسبانية لا تتمتع

بالمرونة و الشجاعة، مثل ثيران

منطقة الكامارغ الأصلية. الآخرون
يفعلون ما يريدونه, لكن أنا, أرفض
ارسال حيواناتي إلى الموت من أجل
فرح و غبطة أشخاص يخافون من
كلب شرير.

بدا عليه الغضب, لذلك توقفت
جوسلين عن متابعة الحديث. و عم
الصمت بقية الطريق.

كان الغداء في المطعم إياه, لكن,
هذه المرة, جلست جوسلين قرب
لوك كولير, بينما جلس جيرفيه قرب
سيلين. وفي هذا اليوم الثاني, كانت
الفتاة الفرنسية ترتدي ثياباً عصرية
فاخرة, وفي يدها اليمنى, يلمع خاتم
ياقوت مربع يلفت الأنظار.
راح لوك كولير يغازل جوسلين كما
فعل مع سيلين بالأمس. لم يكن هذا

الأمر يعجبها, لكنها دخلت في
اللعبة كي تتحاشى النظر إلى جيرفيه
و سيلين.

وفي آخر الغداء, امسك لوك يد
الفتاة من تحت الطاولة, و ظلت
تتحمل ضغط أصابعه الرطبة
الساخنة حتى جاءت القهوة.
ولم يتعد عنها لحظة واحدة خلال
فترة بعض الظهر. بعد حضور

الاحتفال و الموكب, توجهها معاً إلى

مغارة السيدة سارة المضاءة

بالشموع, و حيث يتحلق الفجر!

لم تستطع جوسلين المكوث طويلاً في

المغارة لأن لوك كان يريد الخروج إلى

الشارع, بعد أن تأبط ذراعها. ولم

تشعر الفتاة بالارتياح إلا عندما

دقت الساعة لبدء الألعاب التقليدية

داخل الحلبة, و عندما علمت بأن

لوك فرد من اللاعبين ولن يجلس
قربها, جلست قرب والد سيلين.
دخل جيرفيه إلى الحلبة على ظهر
حصانه قيصر و تناول من يد سيلين
باقة زهور, حاول الحراس نشلها منه,
من دون جدوى.

بعد سباق الحبال ذات الأنشطة
لاقتناص الخيول, بدأ السباق الحر
الذي اشترك فيه عشرة شبان, كل

واحد على حدة. لكن, لا أحد نجح
في اقتلاع الوردة من بين قرني الثور.
اشتد التصفيق، و كان الحيوان هو
البطل المنتصر.

وما أن انتهت الألعاب حتى عاد لوك
إليها. ماذا بوسعها أن تفعل. لم تعد
قادرة على تحمل نظراته المحدقة
بفمها, و ضغط ركبته تحت الطاولة
بينما كانا مع الجميع يتناولان

المشروبات المنعشة, على شرفة

المقهى.

بدأ الناس يرقصون في الشوارع. دعا

السيد دورانس, والد سيلين,

جوسلين إلى الرقص, أولاً, ثم تبعه

لوك, و أخيراً جيرفيه الذي كان

يرقص معها, فقط قياماً بواجبه

الاجتماعي.

ولما أصر لوك على جوسلين أن
ترافقه إلى الروليت, تدخل جيرفيه و
قال:

-ربما لا تشاطرك الآنسة حبك
للروليت.

لكن الفتاة قالت بحماس:
-لا مانع لدي أن أجرب ذلك.
عندما أصبحت وحدها مع لوك,
تمكنت من افهامه بوضوح بأن

السهرة لن تنتهي كما يتوقع. فحزن
لوك قائلاً بأن الجميع يعرف صيت
الانكليزيات و الأميركيات فندمت
لأنها لم تكن حذرة معه منذ البداية و
نظرت إليه بغضب و قالت له قبل
أن تدير له ظهرها و ترحل:
-نعم, يا للأسف.

دقت الساعة العاشرة, و جوسلين
تسير منذ ساعة بين المارة, تتذوق

الحلوى الطيبة و القطائف المشهورة
و تنظر إلى راقصي الفلامنغو. فجأة

لمحت رفاييل مع مجموعة شبان و

شابات, توقف قربها و سأها:

-آنسة جوسلين! هل ترحين؟

-نعم, كثيراً. هل تريد بعض

القطائف؟

-شكراً. أنت وحدك؟ لا يجب أن

تبقي وحدك في هذه المعمة.

- اطمئن عليّ. فالآخرون ليسوا

بعيداً عني كثيراً.

أشار لها بيده و هو يتسم و قال:

- إلى اللقاء, اذن.

بعد قليل, لاحظت شاباً و فتاة,

يتعانقان بشغف, وراء باب محل

صغير نصف مفتوح. المحل كان

مقفلاً, لكن ضوء الزجاج جعل خاتم

الفتاة يلمع وهي تداعب عنق

الرجل.

جمدت جوسلين مكانها لا تصدق ما

ترى. انها سيلين, لكن الرجل الذي

معها ليس جيرفيه. ثم سمعت صوت

سيلين وهي تقول للشباب:

-ليس هنا, فالناس سيروننا. لنبحث

عن مكان منزو و أهدأ.

-بكل سرور, يا حلوتي.

كان السيد دورانس ما زال في
المقهى عندما عادت جوسلين. ومعه
السيد كولير, من دون جيرفيه.
-ماذا تحبين أن تشربي, يا آنسة؟ أين
أبني, أليس معك؟
-كلا. الازدحام فرقنا.
ابتسم لها السيد دورانس و قال:
-كان جيرفيه قلقاً عليك. ربما
اعتقد بأنك متعبة و ذهب للبحث

عنك منذ نصف ساعة لن يتأخر

بالعودة, الآن.

حين عاد جيرفيه, كان الشرر يتطاير

من نظراته. آه, يا إلهي, لا بد أنه

رأى سيلين حتى يكون غاضباً إلى

هذا الحد.

برود لا يصدق, قال لها:

—هل تريدان العودة الآن, يا

جوسلين؟ الطريق طويلة أمامنا.

نهضت الفتاة بسرعة و قالت:

-نعم, متى تريد.

و دعا الآخرين, و تأبط جيرفيه ذراع

جوسلين حتى وصلا إلى الساحة,

حيث كانت سيارة الجيب متوقفة.

العودة إلى المزرعة ذكرت الفتاة بيوم

وصولها, في سيارة الجيب الرجراجة

في رياح الميسترال, و جيرفيه و

قساوته. لكن, في هذا المساء,

منطقة الكامارغ هادئة, وفي
المستنقعات ينعكس ضوء القمر و
النجوم العديدة.

في هذا المساء غضب جيرفيه الحاد
سبب ارتجاج السيارة, لأنه كان يقود
بسرعة جنونية على هذه الطريق
الرملية, غير المعبدة. جوسلين,
متعلقة بمقعدها, مليئة بالشفقة المؤلمة
عليه. لأنها تعرف تماماً شعوره الحالي.

كانت الأضواء مطفأة داخل المزرعة,
لكن الفتاة تعرف طريقها إلى المطبخ
ولم تجد صعوبة في إشعال المصباح
الزيتي.

لما أضاءت الشعلة أرجاء الغرفة,

سألته بصوت غير مطمئن:

-هل تريد بعض القهوة؟

دفع الباب بعنف و اتكأ عليه و

سألها بلهجة قاطعة:

- ما الذي بينك و بين لوك؟

أجابت بتلعثم:

- لا... لا شيء... اختلفنا... و

افترقنا... ببساطة.

- أولاً, رفاييل, و الآن, لوك كوليير.

لست عاقلة أبداً في اختيارك. لكن

في المرة المقبلة, ستجدين نفسك في

مأزق حرج لا مفر منه.

فضلت عدم الرد عليه باللهجة
نفسها, لأنها تعرف بأنه ينفث عن

غضبه بل سألته بهدوء:

-هل تريد قهوة, أم انك تفضل

الذهاب إلى النوم في الحال؟

-تبارك و لقهوتك!

فجأة تقدم منها و قال:

-لم أعد أتحمل هذا, يا ابنتي. في

البداية, تذهبين مع رفايل, و كان

عليّ أن انتشلكما من عراق عنيف.

و اليوم, تغازلين لوك كولير الأحمق.

ماذا تريدان؟ تبحثين عن مغامرة

مثيرة لتخبريها لأصدقائك, عندما

تعودين إلى انكلترا؟

امسكها بعنف و ضمها إليه و

عانقها. ولما ابتعد عنها, دخل في

تلك الأثناء جان-مارك إلى المطبخ,

لكنه لم يلاحظ شيئاً لشدة توتره,

وقال:

– آه, جوسلين, تعالي بسرعة,

أرجوك. جيرفيه, اذهب و أحضر

الطبيب. اشرفت كاميليا على

الولادة.

????

نهاية الفصل السادس

7- مع ولادة طفلة كاميليا ولدت

أيضاً آمال صغيرة, و بين حوافر

حصان هائج استيقظ حب كنا

نعتقده لن يولد إلى الأبد...

ولدت ابنة كاميليا عند الفجر, و

بعد صراخ الاحتجاج المنتظر, نامت,

و نامت أمها قربها. العمة و جوسلين

لم تجدا دقيقة راحة. بعد ليلة بيضاء,

أحضرت جوسلين عجة للطيب ثم

فطوراً للحراس. البعض خاب أملهم
حين علموا أن الطفل أنثى, لكن
جان-مارك كان مسروراً, و أمضى
كل فترة قبل الظهر يتأمل وجه ابنته
الأحمر المجعد, و نسي كلياً مصارعة
الثيران في آلرز.

بعد الغداء, تمكنت جوسلين من
الاستراحة قليلاً, أمام المنزل, في
الساحة الصغيرة, لكنها لم تكن

تشعر بالتعب اطلاقاً. وقت الولادة,
أرادت العمة اخراجها من الغرفة,
لكن كاميليا تعلقت بيدها و رجتها
أن تبقى معها. لم تندم الفتاة
لحضورها الولادة و أدركت لماذا لم
يكن والدها يشعر بالتوتر أبداً بعد
عودته من التوليد. كما تذكرت أنه
قال لها, ذات مرة: " التوليد هو
العمل الوحيد الذي لا يصح رتبياً

مع الزمن. في كل مرة, الولادة
معجزة".

في منتصف بعد الظهر, جلست
كاميليا في سريرها, وضعت حمرة
على شفاهها و طلبت أن تأكل أكثر
من حساء دجاج. ولما جلبت لها ابنة
عمها صحن بيض مقلي, قالت لها:
- آه, ما أروع اختفاء البطن و
العودة إلى الجسم الرشيق النحيل!

فجأة قال لها جان-مارك:

-كاميليا, علينا ايجاد اسم للطفلة,
كنا متأكدين من أن الطفل سيكون
ذكراً...

اقترحت عليهما جوسلين قائلة:

-لماذا لا تسمونها " سارة " ... مثل

السيدة سارة؟

أجابت ابنة عمها قائلة:

- نعم... نعم. أحب هذا الاسم. ما

رأيك يا حبيبي؟

أجاب الزوج:

- هذا اسم رائع و مناسب. ربما

نسميها " سارة ليوني " ؟ انه اسم

والدتي.

فقال كاميليا بفرح:

- " سارة ليوني سانتون " . انه اسم

رائع و أنيق.

تعرف جيرفيه على ابنة أخيه قبل
العشاء. كانت جوسلين في الغرفة
عندما دخل و قال مبتسماً:
- كيف حالك, يا كاميليا؟
- آه, جيدة جداً, شكراً. ما رأيك
بطفلتنا؟ بشعة, أليس كذلك؟
انحنى جيرفيه فوق الوجه الصغير
المشتد احمراراً و تقلصت شفتاه, ثم
قال:

-حتى الآن, لا تشرف الطفلة جمال

والدتها... لكنها جذابة على ما

يبدو.

احمرّت الأم لهذه اللياقة غير

الاعتيادية لدى الرجل, وقالت له:

-انها تدعى سارة ليوني هل يعجبك

الاسم؟

-انه اختيار رائع حقاً.

ناولها ظرفاً و أضاف يقول:

-خذي هذا. عندما تولد فتاة في
العائلة, تتطلب التقاليد من المسئول
الكبير أن يهديها مهرها. لكن, بما
أن الفتيات يتزوجن من دون مهر في
أيامنا, بإمكانك و أخي أن تتصرفا
معاً بالهدية. و الآن أتركك ترتاحين.
تصبحين على خير, يا زوجة أخي.
عندما خرج جيرفيه, فتحت كاميليا
الظرف و صرخت بإعجاب:

-مئة ألف فرنك... ليس بخيلاً كما

تصورته.

قالت جوسلين:

-هذا كرم حائمي.

ثم قالت لنفسها: " لم ينظر إلي لحظة

واحدة, لم يلتفت نحوي مرة واحدة,

كأن لا وجود لي". ولدى تذكرها ما

حدث بالأمس داخل المطبخ, راح

لقبها ينبض بسرعة جنونية,
فاضطرت لمغادرة الغرفة في الحال.
في سريرها, حاولت أن تجد تفسيراً
لانفجار جيرفيه الغريب, لكن من
دون جدوى. هل كانت مخطئة؟ هل
كان غاضباً منها, لسبب سلوكها؟
لكن لماذا؟ هل هو يغار عليها؟
بريق أمل احتلها فجاً, ثم اختفى
بسرعة. كلا, اطبعاً, أنه لا يغار

عليها. الغيرة تأتي من الحب... و
هذا سراب.

تحركت في سريرها, ثم خبأت رأسها
في الوسادة. أغمضت عينيها و
تذكرت عناقه. لماذا عانقها هكذا...
بقسوة و عنف, كأنه يريد معاقبتها?
ماذا قالت العجربة البصارة؟ ألم تقل:
" الرجل الأجنبي, الأسمر القاتم, هو
الذي سيعلمك نيران الحب؟" .

أصابها الارتجاف و راحت تقول
لنفسها: " ما قالتة صحيح. مساء
أمس, معه لم أخف. أردته أن يعانقني
هكذا. لم أكن أريد مقاومته... كنت
أريد أن يدوم ذلك إلى الأبد".
خلال اليومين التاليين لم تره إلا على
مائدة الطعام, و كان يتجاهل
وجودها كلياً.

وعندما ذهب جان-مارك إلى
مرسيليا ليدفع التأمين, اصطحب
جوسلين معه, بعد أن قال لها:
-أريد رأيك قبل الانتهاء من
معاملات الأيجار.

وجدت الفتاة المنزل في وضع أفضل
مما كانت تتصوره. أمامه حديقة
واسعة و جميلة, يمكن وضع سارة
ليوني فيها في الطقس الحار.

كانت جوسلين تأمل بأن العلاقة بين

ابنة عمها و العممة ستتحسن بعد

الولادة, لكن العممة انصدمت حيال

رفض كاميليا ارضاع الطفلة بنفسها

فأصبحت العدائية بين المرأتين أسوأ

مما كانت عليه, مع العلم أن العممة لا

تعرف شيئاً عن مشاريع جان-مارك

الجديدة و انتقال العائلة إلى مرسيليا.

في طريق العودة, قالت جوسلين

لجان-مارك:

-عليك أن تخبرها بسرعة عن

مشاريعك وعن نيتك في العيش في

مرسيليا.

-نعم, سأخبرها في المساء. ظن بانها

ستحزن لهذا الخبر كثيراً.

وعندما أخبر جان-مارك عمته

بمشاريعه الجديدة, أصغت إليه

بصمت, و لم تجبه بشيء, أضاف

يقول:

—مرسيليا ليست بعيدة من هنا, و

سنأتي دائماً لزيارتك.

بعد صمت ثقيل, ضغطت العمة

يدها على فمها و أطلقت صرخة

قوية. و ظلت حابسة نفسها في

غرفتها كل السهرة. ولما حاول

جيرفيه و جان—مارك التحدث إليها

من وراء باب غرفتها, لم ترد عليهما

اطلاقاً. شحب وجه جان-مارك

وقال لأخيه:

-هل تعتقد أنها...

قاطعه جيرفيه قائلاً:

-لا تكن أحمق, أنها متوترة وهذا امر

طبيعي جداً. انها تعتبر الركيزة

الأساسية في حياتها. ومن الصعب

على المرأة أن ترى ابنها يرحل عنها,

من دون أن تشعر بالحزن العميق.
لكنني متأكد من أنها ستتغلب على
هذه المحنة في وقت قريب جداً.
بعد قليل, بدأت الطفلة تبكي,
فغيرت لها جوسلين حفاضها الوسخ,
ثم اطعمتها زجاجة حليب, لكنها
ظلت تبكي. فقالت لها كاميليا:
- آه, لم أعد أستطيع تحمل صراخها.
فاقترحت عليها جوسلين قائلة:

– ما رأيك أن آخذها إلى غرفتي،

هذه الليلة.

ساعد جان – مارك الفتاة على نقل

سرير الطفلة إلى غرفتها، فنامت

سارة ليوني بسرعة حتى موعد

اطعامها في العاشرة. ولما نزلت

جوسلين إلى المطبخ لإحضار زجاجة

الحليب لوجبة الساعة الثانية، رأت

الضوء في غرفة جيرفيه، و تساءلت

ما الذي يشغله إلى هذه الساعة

المتأخرة من الليل.

في الليل, بعد الرضاعة, رفضت
الطفلة أن تنام, فحملتها جوسلين و
غنت لها, غيرت ملابسها الرطبة,
وضعتها في سريرها, و راحت تهزه و
تقول لها بصو هادئ:

-هس... انك توقظين المنزل كله.

عندما انفتح الباب, اعتقدت بأن
جان-مارك جاء ليطمئن عن ابنته,
لكنها فوجئت بجيرفيه يدخل إليها و

يسألها بهدوء:

-ماذا يجري؟

أجابت الفتاة:

-لا أعرف.

مد يده وقال:

-دعيني أجرب.

ناولته الطفلة, ثم ارتدت مئزرها
بسرعة, خجولة لأنه رآها في قميص
النوم الشفاف.

حمل الرجل الطفلة على كتف و
أمسك رأسها و راح يحدثها بلطف.
فتوقفت عن البكاء فجأة, و لما
وضعها بعد قليل في مهدها, قالت
له جوسلين:

-شكراً. الظاهر أنك خبير.

هز كتفيه و قال:

—أنا معتاد على الحيوانات الصغيرة.

آمل ألا تزعجك مجدداً. تصبحين

على خير.

في اليوم التالي, باشرت العمه عملها

كالمعتاد طأن شيئاً لم يكن. وبهد

الظهر جاءت سيلين على حصانها

لزيارة الأم و طفلتها. بعد ساعة من

الحديث مع كاميليا, خرجت لرؤية

جوسلين التي كانت تلمع حذاءها في
الساحة. فقالت لها الفتاة الفرنسية:
—حان وقت عودتك إلى انكلترا,
على ما أظن. فالولادة تمت بشكل
طبيعي.

—لا ادري. ربما تريدني كاميليا أن
أساعدها في الانتقال إلى منزلها
الجديد, في مرسيليا.

—آه...

فجأة, قالت لها جوسلين بصوت

مرتفع:

-لماذا وضعت الشمعة في حساء

البصل؟

-عما تتكلمين.

-هيا, أنا لست حمقاء. كنت تعرفين

جيداً بأنني سأكشف الأمر. لقد

نجحت في جعلني تافهة أمام الآخرين,

إذا كان هذا ما تريدينه. لكن هذا

من الماضي, و نسية الجميع. الآن,
قولي الحقيقة, فلن أخبر احداً. أنت
وضعت الشمعة في الحساء, أليس
كذلك؟

-نعم, أنا فعلت ذلك. و إذا كنت
تريدين معرفة السبب, فلأنني لم
أحتمل سماع الكلام عنك... و عن
صفاتك العديدة...

-هل كان جيرفيه يتحدث عني

أمامك؟

-لم يفعل إلا ذلك طيلة السهرة.

لكن، لا تتوهمي كثيراً، يا عزيزتي،

أعرف بماذا تفكرين. لقد رأيتك كيف

تنظرين إليه. تأكدي بأنه لن يكون

هناك فتاة انكليزية ثانية في مزرعة

سانتون. أنت تضيعين وقتك.

-تريدينه لك، أليس كذلك؟

-نعم, وهو يريدني أيضاً. اننا
شبيهان. صحيح أنه يفضلك على
كاميليا, لكنه لن يشتهيك أبداً.
أنت غريبة هنا. لا تعرفين حتى
ركوب الخيل.

-ما دمت تحببته, لماذا تركت رجلاً
آخر يعانقك, مساء الاثنين, اليوم
الثاني للعيد. لقد رأيتك.

اضطربت الفتاة الفرنسية و قالت:

- و أخبرت جيرفيه.

- كلا. هذا ليس من شأني. لكن ربما

أحد آخر غيري أخبره بذلك.

بتحد، قالت سيلين:

- لكنه لن يصدق ذلك.

- ربما لا. لأنه يعتبرك مغرمة بأخيه.

- آه، لم أفكر بأخيه مرة واحدة أبداً.

العمة كانت ترغب أن يتزوجني.

صحيح أن جان-مارك شاب وسيم،

لكنه ليس مثل جيرفيه, زوجي أنا لن
يكون سوى جيرفيه سانتون.

ركضت سيلين بسرعة إلى الحاجز
حيث ينتظرها حصانها, فتبعها
جوسلين و سألتها:

-لكن, هل هو أيضاً يريدك. أنت لا
تحبينه, يا سيلين. أنت لا تعرفين
معنى الحب. تريدان الحصول عليه
كأنك تريدان فستاناً أو جوهرة.

فقط لتظهري نفسك أمام الآخرين،

وليس لتعتني به و تسعديه.

—وماذا تريدین، یا آنسة، أنت

أيضاً، لا تحبين أن تصبحي زوجة

جيرفيه.

—بلى... أنا أحبه من كل قلبي، كما

أعرف بأنه لا يبالي بي، كل ما آمله،

هو ألا يتزوجك و يخطئ.

ضحكت سيلين بتوتر و قالت مقلدة

صوت جوسلين:

—أنا أحبه من كل قلبي! سأخبره

بذلك, يا عزيزتي, و سيضحك...

أنت على حق! لن تحصل علي

أبداً.

ثم قفزت على حصانها و أعطته أمراً

غامضاً. أجفل الحصان. أرجع أذنيه

إلى الوراء و فتح فمه. رفعت

جوسلين ذراعيها لتحتمي من حوافر
الحصان الغاضبة, فرجعت إلى الوراء
و تعثرت قدماها و وقعت. صهل
الحصان الأبيض فوقها. ارتعبت
الفتاة ولم تستطع الصراخ. كانت
ممددة على الأرض تتوقع في أي
لحظة أن تسحقها حوافر الحيوان.
فجأة سمعت صوتاً من بعيد. ركض
الرجال. يدان قويتان سحبتاها على

حدة فقال لها أحد الحراس وهو

ينحني فوقها:

-يا إلهي, يا للهول, هل أنت بحال

جيدة, يا آنسة؟ هل أصبت بجروح

هل ضربتك هذه المجنونة؟

رفعت رأسها و رأّت جيرفيه يحاول

تهدئة الحصان, انتصبت على

قدميها, جامدة نصف متأرجحة,

فأمر جيرفيه أحد حراسه بإدخال

الحصان إلى الاسطبل. و سيلين
واقفة قربه تحاول أن تشرح له
بكلمات غير متناسقة و كأنها على
وشك الغثيان. تقدم جيرفيه من
جوسلين متجاهلاً سيلين و ساها:

- هل أصبت بجروح؟

- كلا, أنا بخير. أنا... آسفة يا

جيرفيه.

- آسفة!

أمام الجميع, ضمها بين ذراعيه

وقال:

-شكراً, يا إلهي, أنت بخير. لو

فقدتك, يا صغيرة...

... كأنها في الجنة بين ذراعيه. رفع

ذقنها ليجرّبها على النظر إليه...

فبدا لها انساناً جديداً... انسان لم

تعد ابتسامته ساخرة, ينما عيناه

تلهثان حناناً. عانقها, فتفرق الحراس

و اختفت سيلين. قال جيرفيه:

—فعلت ذلك عن قصد. أنا

سمعتها... كنت أريد قتلها.

—آه لا, لا. لم تكن تدري ما تفعله.

بدت بعد ذلك مدعورة, ألم ترها؟

—سأعلمها أن تهدئ من روعها.

دائماً تفعل ما تريده, لكن انتهى

الأمر الآن. أين هي؟ أين ذهبت؟

- كلا يا جيرفيه, أرجوك... لا

تعاقبها. دعها تذهب, أرجوك. يا

حبي... افعل ذلك من أجلي.

- لا ادري إذا كنت قد فهمت ما

جرى, يا حبيبي. أمرت الحصان أن

يدوسك. لو مل اكن في الجوار,

لقتلك في اللحظة.

- لكنها لم تكن تقصد قتلي. أصيبت

بلحظة جنون ولم تعد قادرة على

السيطرة على الحصان. انا سمعتها
تطلب النجدة. آه, باغ لهي. أشعر
بدوخة. أفضل الجلوس, من فضلك.
حملها جيرفيه بين ذراعيه حتى المنزل.
وضعها في سيريها وقال لها:

— أنت الآن تحت تأثير الصدمة, و
بحاجة إلى الراحة. سأطلب لك
منوماً.

أمسكته بمعصمه وقالت:

- لا , لا تذهب .

جلس على طرف السرير و أمسك

يديها و قال بهدوء :

- هذا جنون !

- لولا هذا الحادث ... لما قلت لي

شيئاً .

- لا أدري . ربما ... وربما لا . ما كان

يجب أن أقول شيئاً في كل حال .

لكن... لم أستطع أن أفعل غير ذلك.

- ما زلت حتى الآن لا أعرف ماذا تقصد بالضبط.

قطب حاجبيه و قال:

- أحبك و أريدك أن تصبحي

زوجتي. لكن حياتي هنا, في منطقة

الكامارغ. لا أستطيع العيش في

مكان آخر. انا لست مثل جان-
مارك, يا جوسلين. المنطقة في دمي.
-لكنني أيضاً لست مثل كاميليا.
أحب هذا المكان و لست بحاجة
لحياة مضطربة في المدينة. نعم, أعرف
بأن هذا المكان كئيب في فصل
الشتاء. فانا لم أعد طفلة, يا جيرفيه.
ألم أبرهن بعد بأنني قادرة على العمل
و التكيف؟

- أنت ما تزالين في التاسعة عشرة من

العمر و حياتك في بدايتها, يا

جوسلين!

لأول مرة يناديها باسمها الصغير,

فغمرها الفرح, و قالت و رأسه بين

ذراعيها:

- إذا كنت لا تريدني, سأعود إلى

انكلترا, و أصبح عانساً أفسدت

حياتها بسبب شاب فرنسي.

ضحك جيفيه و ضمها بين ذراعيه

و قال:

–ماذا سيقول والدك أن تزوجت من

رجل فرنسي؟ ربما يرفض.

–يجب أولاً أن يأتي و يسأل عنك.

–كلا، أنا الذي سأذهب لرؤيته.

–سيفاجأ المسكين. ما كتبت له

عنك ليس مديحاً. كنت أصفك

بالوحش أحياناً...

-رائع!

-لقد أريتني نجوم الظهر, يا حبيبي.
عندما قرأت لي البصارة, قلت لي
بأنني لن أتعرف إلى زوجي في فرنسا,
إنما في انكلترا, مما زاد شكوكي.
- كنت اعتقد بأنك تميلين إلى

رفاييل.

-آه يا جيرفيه, يا لهذه السخافة. انه

شاب مراهق.

- و أنت امرأة خبيرة, أليس كذلك؟

احمرت, و بخجل, نهضت تعانقه و

قلبها ينبض بجنون. فوجدت نفسها

في الجنة. بعد قليل قال:

- ليس لائقاً ان أعانقك في وسط

غرفتك. هيا, قومي لنخبر العمه,

ستسر كثيراً لأنها أحبتك.

فتح جيرفيه النافذة, و سطعت

الشمس الحارقة و غرد العندليب.

منطقة الكامارغ تلمع في الحر. هذا
البلد المنغلق, امبراطورية شاردة.
الأرض الغربية, الصحراوية, التي
تؤمها الثيران السود و الخيول
البيضاء و الطيور الوردية... و
تسحقها رياح الميسترال و تحرقها
الشمس.

لكن, هذا البلد أصبح الآن, بالنسبة
إلى جوسلين, بلدها, و بلد قلبها.

لتحميل مزيد من الروايات

الخاصة والمميزة

زوروا

موقع مكتبة رواية

www.rivaya.ga

رابط قناة روايات عبر

على تيليجرام :

تهتم قناة روايات عبير بمشاركة روابط

روايات عبير و أحلام و مختلف

الروايات الرومانسية الحصرية و

المميزة

<https://t.me/aabiirr>

النهاية